

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله عز وجل:

{إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا}

(سورة الأحزاب: الآية ٣٣)

تظافت الأحاديث النبوية الشريفة في المصادر السنّة والشيعية على نزول هذه الآية المباركة في خصوص الخمسة أصحاب الكساء^١، وانحصار مصطلح «أهل البيت» بهم؛ وهم: محمد ﷺ و علي، و فاطمة، والحسن، والحسين^٢، راجع على سبيل المثال:

مسند أحمد (٢٤١هـ): ١: ٣٣١، ٤: ١٠٧، ٦: ٢٩٢ و ٣٠٤؛ صحيح مسلم (٢٦١هـ): ٧: ١٣٠؛ سنن الترمذي (٢٧٩هـ): ٥: ٣٦١ وغيرها؛ السنن الكبرى للنسائي (٣٠٣هـ): ٥: ١٠٨ و ١١٣؛ الذرية الطاهرة النبوية للدولابي (٣١٠هـ): ١٠٨؛ المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري (٤٠٥هـ): ٢: ٤١٦، ٣: ١٣٣ و ١٤٦ و ١٤٧؛ البرهان للزركشي (٧٩٤هـ): ١٩٧؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ): ٧: ١٠٤؛ أصول الكافي للكليني (٣٢٨هـ): ١: ٢٨٧؛ الأمانة والتبصرة لابن بابويه (٣٢٩هـ): ٤٧، ح ٢٩؛ دعائم الإسلام للمغربي (٣٦٣هـ): ٣٥ و ٣٧؛ الخصال للصدوق (٣٨١هـ): ٤٠٣ و ٥٥٠؛ الأمالي للطوسي (٤٦٠هـ): ح ٤٣٨ و ٤٨٢ و ٧٨٣. وكذلك انظر تفسير الآية في: جامع البيان للطبري (٣١٠هـ) أحكام القرآن للجصاص (٣٧٠هـ)؛ أسباب النزول للواحدي (٤٦٨هـ)؛ زاد المسير لابن الجوزي (٥٩٧هـ)؛ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦٧١هـ)؛ تفسير ابن كثير (٧٧٤هـ)؛ تفسير الثعالبي (٨٢٥هـ)؛ الدر المنثور للسيوطي (٩١١هـ)؛ فتح القدير للشوكاني (١٢٥٠هـ)؛ تفسير العياشي (٣٢٠هـ)؛ تفسير القمي (٣٢٩هـ)؛ تفسير فرائد الكوفي (٣٥٢هـ) ذيل آية أولوا الأمر؛ مجمع البيان للطبرسي (٥٦٠هـ) وكثير من المصادر الأخرى.

الشرك وعبادة الأوثان في القرآن الكريم

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ: كِتَابَ اللَّهِ، وَعِترَتِي
أَهْلَ بَيْتِي، مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا
أَبَدًا، وَأَنْتَهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ
الْحَوْضَ.

(ورد هذا الحديث الشريف و المتواتر
بصور متعددة في الكثير من المصادر
الاسلامية راجع على سبيل المثال: صحيح
مسلم، ج ٧، ص ١٢٢، سنن الدارمي، ج ٢،
ص ٤٣٢، مسند أحمد، ج ٣، ص ١٤، ١٧،
٢٦، ٥٩، ج ٤، ص ٣٦٦، ٣٧١، ج ٥، ص
١٨٢، مستدرک الحاکم، ج ٣، ص ١٠٩،
١٤٨، ٥٣٣).

الشرك وعبادة الأوثان

في القرآن الكريم

السيد عباس السيد كريمي الحسيني

ترجمة: عبد الأمير آل كمال

المجمع العالمي لأهل البيت [^]



■ الشرك وعبادة الأوثان في القرآن

التأليف والإشراف على الترجمة: السَّيِّد عباس السيد كريمي الحسيني

الترجمة: عبدالامير آل كمال

الإعداد: دائرة الترجمة، المعاونة الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت [^]

تقويم النص: شاكر الأحمدي وجواد الطاهر

المقابلة ومراجعة المصادر: حسين رفعت الصالحي

نضد الحروف: قاسم البغدادي

الإخراج الفني: نبيل يعقوبي

الناشر: المجمع العالمي لأهل البيت [^]

الطبعة وتاريخ النشر: الأولى، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٨ ميلادي

المطبعة: ليلي

عدد النسخ: ٣٠٠٠

حقوق النشر محفوظة للناشر

ردمك: 964-529-000-0

info@ahl-ul-bayt. org

www. ahl-ul-bayt. org

كلمة المجمع

إنّ تراث أهل البيت ^٨ الذي اختزنته مدرستهم، وحفظه من الضياع أتباعهم، يعبر عن مدرسة جامعة لشتى فروع المعرفة الإسلامية. وقد استطاعت هذه المدرسة أن تربي النفوس المستعدة للاعتراف من هذا المعين، وتقدم للأمة الإسلامية كبار العلماء المحتزين لخطى أهل البيت ^٨ الرسالية، مستوعبين إشارات وأسئلة شتى المذاهب والاتجاهات الفكرية من داخل الحاضرة الإسلامية وخارجها، مقدمين لها أمتن الأجوبة والحلول على مدى القرون المتتالية.

وقد بادّر المجمع العالمي لأهل البيت ^٨ - منطلقاً من مسؤولياته التي أخذها على عاتقه - للدفاع عن حريم الرسالة وحقائقها التي ضبب عليها أرباب الفرق والمذاهب وأصحاب الاتجاهات المناوئة للإسلام، مقتفياً خطى أهل البيت ^٨ وأتباع مدرستهم الرشيدة التي حرصت في الرد على التحديات المستمرة، وحاولت أن تبقى على الدوام في خطّ المواجهة وبالمستوى المطلوب في كل عصر.

إن التجارب التي تختزنها كتب علماء مدرسة أهل البيت ^٨ في هذا المضممار فريدة في نوعها؛ لأنها ذات رصيد علمي يحتكم إلى العقل والبرهان ويتجنب الهوى والتعصب المذموم، ويخاطب العلماء والمفكرين من ذوي الاختصاص خطاباً يستسيغه العقل وتتقبله الفطرة السليمة.

وعبادة الأوثان في القرآن

وقد حاول المجمع العالمي لأهل البيت ^٨ أن يقدم لطلاب الحقيقة مرحلةً جديدةً من هذه التجارب الغنية من خلال مجموعة من البحوث والمؤلفات التي يقوم بتصنيفها مؤلفون معاصرون من المتممين لمدرسة أهل البيت ^٨، أو من الذين أنعم الله عليهم بالالتحاق بهذه المدرسة الشريفة، فضلاً عن قيام المجمع بنشر وتحقيق ما يتوخى فيه الفائدة من مؤلفات قدامى علماء الشيعة الأعلام أيضاً، لتكون هذه المؤلفات منهلاً عذباً للنفوس الطالبة للحق، كي تفتتح على الحقائق التي تقدمها مدرسة أهل البيت ^٨ الرسالية للعالم أجمع، في عصرٍ تتكامل فيه العقول وتتواصل النفوس والأرواح بشكلٍ سريعٍ وفريدٍ.

نرجو من القراء الكرام أن لا يخلوا علينا بأرائهم ومقترحاتهم القيمة وانتقاداتهم البناءة في هذا المجال. كما ندعو كافة المراكز المعنية والعلماء والمؤلفين والمترجمين للتعاون معنا في نشر الثقافة الإسلامية المحمدية الأصيلة.

سائلين الله تعالى أن يتقبل منا هذا القليل ويوفقنا للمزيد في ظلّ عنايته الخاصة ورعاية خليفته في الأرض الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

ونتقدم بالشكر الجزيل لسماحة الاستاذ الفاضل السيد عباس السيد كريمي الحسيني لتأليفه هذا الكتاب. كما ونشكرفضيلة الشيخ

عبدالامير آل كمال لنقله هذا الكتاب من الفارسية إلى اللغة العربية، وكذلك جميع زملائنا الذين ساهموا في إنجاز هذا الأثر، بالأخص العاملين في قسم الترجمة المثابرين في أداء واجبهم.

المعاونة الثقافية

المجمع العالمي لأهل البيت ^٨

المقدمة

الكتاب عبارة عن مجموعة من البحوث المتعددة في الشرك، وهي: عبادة الأوثان، الديانة الوثنية، رسالة الأنبياء في الدعوة للتوحيد ونفي الشرك، معنى العبادة، معنى الشرك، أقسام الشرك، هل أنّ الأوثان في رأي المشركين مستقلة عن الله في تأثيرها أم لا، الشرك الجلي الظاهري والشرك الباطني، ومباحث أخرى؛ وذلك بالاعتماد على آيات القرآن الكريم.

لقد تناول القرآن الكريم - في حدود ربع من آياته الشريفة - بحث الشرك بشكل واسع. ومن خلال نظرة شاملة نستطيع القول: إنّ جميع الآيات القرآنية لها علاقة بالتوحيد، وحتّى المعاد والجنة والنار والحساب والكتاب والنبوة والإمامة وعلم الفقه وهذه المفاهيم مرجعها جميعاً إلى التوحيد. فبحث التوحيد هو الأول والأخير.

لقد بحثنا مسألة الشرك في جميع آيات القرآن الكريم فوجدنا ما يُقارب ألفاً وخمسمائة آية في هذا المجال، وبعد المطالعة والبحث دوّنّا ما توصلنا إليه في دراستنا من استنتاجات وملاحظات وأفكار جديدة، فقمنا بتدريسها على طلبة الحوزة العلمية في قم المقدسة، وأخيراً ارتأينا أن نطبعها على شكل كتاب لنضعها بين يدي القراء الكرام من طلاب الحق والحقيقة.

إنّ إحدى الدوافع المهمة التي دعتنا لبحث هكذا موضوع هو الحصول على إجابات متقنة منطقية لردّ العقائد الوهاية الضالّة. ففي

الأوثان في القرآن

سفراتنا المتكررة الى المملكة العربية السعودية لقصد أداء الحج والعمرة أثارني مسألة مهمة لمجاميع مسمّاة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ وهي اتّهامهم الشيعة بالشرك ويرون أنّ التوسّل بالنبيّ وأهل بيته عليه السلام شرك، وكذلك تقبيل الحرم وبابه. ويقولون: إنّ طلب الحوائج لا يمكن أن يكون إلّا من عند الله وحده.

ولأجل الردّ على عقائدهم الباطلة رأينا من الضروري أن نقوم بدراسة واسعة في المعنى الصحيح للشرك؛ من أجل أن نبين لهم مواطن الخطأ والاشتباه في فهمهم للشرك في القرآن الكريم.

وبعد البحث والتحقيق في آيات القرآن الكريم تبين لنا مواطن الخطأ والانحراف عندهم، فهم لا يفرّقون بين أن يكون المتوسّل به مستقلاً عن الله في تأثيره نفعاً وضراً وبين أن لا يكون مستقلاً، بل هو تابع.

في حين أنّ الشرك هو أن تعتقد أنّ المتوسّل به مستقلاً في تأثيره عن الله تعالى، والشيعة لا يعتقدون في توسّلهم بالنبيّ صلى الله عليه وآله والأئمة ^٨ بأنّهم مستقلّون عن الله تعالى.

سوف نتناول ذلك في هذا الكتاب بشكل مفصّل، ونتمنى أن تكون هذه المباحث خطوة في طريق بيان مفهوم الشرك ومعناه.

وقد بوّيت بحوث الكتاب على شكل فصول موزّعة - أحد عشر فصلاً - على عناوين مستقلة، لكل فصل عنوانه الخاص المستقل به من غيره.

ثمّ ختم الكتاب بخاتمة موجزة توضحاً للفائدة.

وأصل الكتاب الذي ألفته كان باللغة الفارسية، وعنوانه «شرك وبت

پرستی در قران»، الذي قرّظه وقَدّم له آية الله الشيخ محمد هادي المعرفة ع في مقدمته وقام بتعريبه الأخ العزيز الفاضل سماحة الشيخ عبد الأمير آل كمال (كمال وان) ونشكر سعيه الوافر، ونسأل الله أن يوفّقه لمرضاته، وندعوه جلّ شأنه أن يجعله ذخراً في المعاد للمؤلف والمترجم، وهادياً للقارئ إلى سبيل النجاة.

عبّاس أفضل السيد كريمي الحسيني

قم المقدسة ١٤٢٨ هـ.ق

الفصل الأول

عقيدة الوثنيين في الله تعالى

سوف نتناول في دراستنا هذه عقيدة الوثنيين في ثلاثة محاور، وهي:
الأول: عقيدتهم في الله.
الثاني: عقيدتهم في الأوثان.
الثالث: عقيدتهم في المعاد.

المحور الأول: عقيدتهم في الله

يعتقد المشركون بأنه لا يوجد خالق ومدبر لهذا العالم إلا الله تعالى، فهم يُقرّون بأنّ الله تعالى هو الخالق والمدبر لما في السماوات والأرضين وما بينهما، ولا يوجد غيره تعالى، وعليه يمكن أن نقول: إنّ هذه المسألة من الأمور الإيجابية في عقيدتهم، لأنّها تنسجم مع ما يعتقد به الموحّدون لله تعالى.

وهناك بعض الآيات التي تدلّ على هذا المعنى، وهي:

الآية الأولى:

(قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا

الأوثان في القرآن

تتقون (31) فذلکم الله ربکم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون (32)^(١).

توضیح:

«الأمر» هو مصدر معرّف بالألف واللام لإفادة العموم، فيكون معناه كل الأمور.

فالله تعالى يُبَيِّن في آخر الآية ٣١ تحبّط المشركين العقائدي الخاص بتدبير الأمور في الكون؛ لعدم تفواهم وضياعهم وتيههم.

(فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ) في هذا المقطع من الآية يُوَضِّح تعالى أنّ الخالق الحقيقي والوحيد هو الله ولا يوجد مدبّر غيره. والاعتقاد بتأثير غير الله في هذا الوجود ليس إلّا أوهام وظنون. فلا يوجد في الحقيقة والواقع ربّ وخالق غير الله. وكل ما عداه باطل. لأنّه لا يوجد بعد الحقّ إلا الضلال، فالحقّ هو الأوّل والأخير وهو الله تعالى.

وسنوضح لاحقاً أنّ القرآن الكريم يُصرّ ويؤكد على هذه المسألة، وهي: أنّ الاعتقاد بتأثير غير الله تعالى في هذا الكون مجرد أوهام وخيال، وأنّه لا يوجد بعد الحقّ إلا الضلال، والله تعالى هو الحقّ المبين. فهناك البعض ممّن يتصور واهماً بتأثير غير الله تعالى في هذا الكون. والحقيقة أنّ الأوثان لها تأثير في نطاق دائرة أوهام الوثنيين، لا في

(١) يونس: ٣١ - ٣٢ .

الواقع كما يدّعيه هؤلاء.

والعبارة (فَأَنِّي تُصْرَفُونَ) توضّح مدى الابتعاد عن هذه الحقيقة والواقع والسير خلف الأوهام والخيال.

ولقد وردت جملة (فَسَيَقُولُونَ) في آيات عديدة، ومن الضروري أن نوضّح بعض الأمور بصدد هذا لأجل أن نستفيد منها في بعض الموارد الأخرى. فهي تقول: إنّ المشركين سيُذعنون عاجلاً بأنّ تدبير الأمور في هذا الكون والوجود بيد الله تعالى.

الآن لدينا بعض الملاحظات الدقيقة، وهي: هل أنّ مراد الآية هو: يا أيّها الرسول، عمّا قريب سوف تسأل المشركين وهم هكذا سوف يُجيبون، أم مرادها هو: يا أيّها النبيّ إذا أردت أن تسأل هؤلاء فرضاً فهكذا سوف يجيبون.

أم أنّ مرادها هو: أنّ هؤلاء إذا ما حكّموا فطرتهم فإنّهم سوف يقولون: إنّ الذي يُدبّر هذه الأمور في الكون هو الله تعالى؟ فأَي فرض من هذه الفروض الثلاثة التي ذكرناها يفني بإثبات ما نريد إثباته؟

هو: أنّ الآية تدلّ بوضوح على أنّ المشركين يذعنون أنّ الله تعالى هو الخالق والمدبّر للأمور في الكون، لا غيره.

والدليل على ذلك كما في الوجه الأوّل والثاني: إذا سألتهم، أو على فرض أن تسألهم فسوف يكون جوابهم هو الاعتراف بذلك. وعلى الوجه الثالث هو جواب فطرتهم وهنا اعتراف أيضاً منهم في داخل أنفسهم. فنتيجة القول هو: أنّ الاعتقاد بأنّ الله تعالى هو وحده مدبّر الأمور في

الأوثان في القرآن

الكون أمرٌ فطري.

فإذا استطاع الإنسان أن يجنب فطرته من الحجب والأدران سوف يصل إلى النتيجة بشكل يسير.

وهناك نكتة لطيفة في «فسيقولون» للدلالة على المستقبل القريب. ومن المحتمل أن يكون دخول «السين» على الفعل لغرض بيان هذا الأمر، وهو: إنَّ جواب هذا السؤال من الوضوح والبداهة بحيث لا يحتاج الى مزيد من التفكير والتأمل حتَّى يسأل هؤلاء مَنْ هو الرازق و...؟ وهؤلاء سوف يجيبون بأنفسهم على هذا السؤال مباشرة وبدون تلكؤ؛ الله. فيكون المقصود من دخول «السين» في قوله «فسيقولون» لأجل توضيح بداهة وبساطة هذا السؤال والتأكيد أكثر على كون الجواب جواباً فطرياً بديهياً وبسيطاً.

ويُحتمل أن تكون العلة في تكسير إبراهيم عليه السلام للأصنام هي إزالة الحُجب والأدران عن فطرة المشركين؛ ولأجل ذلك وضع المعول بعد تكسيره للأصنام في رقبة كبير الأصنام.

وقال عليه السلام لهم - عندما سألوه: مَنْ فعل هذا بآلهتنا؟: إذا كانت هذه الأصنام تتكلم كما تدَّعون فاسألوا هذا الصنم الكبير عن مَنْ قام بتكسير هذه الأصنام. لقد أراد عليه السلام بهذا العمل أن يفيقوا من الغفلة ويرجعوا الى فطرتهم. ولقد أفاقوا للحظات قليلة، ولكنهم عادوا الى غفلتهم ثانياً بسبب

الأجواء المحيطة الملوثة، وصاحوا: اقتلوه أو حرقوه وانصروا آلهمكم^(٢).

إيقاظ الفطرة:

إنَّ الفطرة الغارقة في سبات من الغفلة عندما تواجه بعض الأحداث غير المؤلوفة، أو المواقف المؤثرة في صميم وجود الإنسان ومستقبله فإنها سوف تفيق من غفلتها وتصحو، كما جاء في قوله تعالى:

(فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِّ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ)^(٣). فيستفاد من هذه الآية أنَّ الفطرة الإنسانية عندما تُداهمها الأخطار فإنها سوف تستيقظ من غفلتها، فتستنصر وتطلب النجاة من القدرة المهيمنة على هذا الوجود وهو الله تبارك وتعالى.

ولكن بمجرد أن تزول تلك الأخطار وينجو من المحنة التي واجهته تَوَّأً ويصل إلى شاطئ الأمان يرجع إلى ما كان عليه ويطوي فطرته ثانياً غطاء الغفلة والسُّبات.

إنَّ توحيد الإنسان يبلغ كماله عندما لا يتأثر بالظروف والمحن التي تواجهه، وإلاَّ فهو في حال الصحة والمرض والرفاه والعافية والبلاء والشدة يجب أن يعتقد بأنَّ الأمور كلها بيد الله تعالى وحده^(٤).

(٢) إشارة إلى الآيات: ٥٧ - ٦٨ من سورة الأنبياء.

(٣) العنكبوت: ٦٥ .

(٤) بمعنى أنَّ كمال التوحيد الإلهي من قبل الإنسان أن يعيش في حالة المصائب

الأوثان في القرآن

ومن المناسب أن نتعرض الى هذه النكتة هنا، وهي: أنه من المحتمل أن يكون أحد أسباب البلايا والمصائب والمحن هو انتشار الفطرة الإنسانية من سباتها وسوقها باتجاه بارئها.

فعندما يُبتلى الإنسان بالمصائب ويصل الى نتيجة أنه لا ملجأ إلا الله تعالى وحده، عند ذلك سوف يتجه إليه تعالى ولكن عندما تكون الأمور طبيعية سوف لا تتوفر له مثل هكذا فرصة لمعرفة الله والعودة إليه.

هذا، وإننا سوف نتعرض لاحقاً إلى مبحث الفطرة الإنسانية.

الآية الثانية:

(قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ)^(٥).

توضيح:

كلمة «مَنْ» استعملت في الآية ٨٤ للعقلاء، وتعني: مَنْ هو خالق السماوات والأرض، والعقلاء الموجودين في الأرض^(٦).

والمحن، كما يعيش في حالة الرفاهية والسلامة على وتيرة واحدة من الرضى والتسليم، موحداً في زمن الأخطار والمحن فقط، وإلا فهذه وحدانية زائلة غير ثابتة، فحالة الرضى والتسليم بالأمر الإلهي لا بد أن تكون في كل الأحوال، لكي يكون الإنسان كامل الإيمان موحداً لله تعالى.

(٥) المؤمنون: ٨٤ - ٨٩ .

(٦) مجمع البيان: ج ٧ ص ٢٠٣، ذيل الآية نفسها.

و«الملكوت» مثل جبروت، وهي صيغة مبالغة، وتعني الملك أضيف إليها الواو والتاء للمبالغة في الملكية، فتدل على أنّ الملكية المطلقة لله تعالى. فمفاد الآية: أنّ ملكية الأشياء قاطبة ومصيرها بيد الله تعالى، ولا يوجد من دونه ولي ولا نصير، وقد اعترف المشركون بمثل هذا النوع من الملكية.

الآية الثالثة:

(وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّي أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ۖ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ) وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنَ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ قُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۖ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ^(٧).

توضيح:

«يقدر»: بمعنى الضيق في مقابل السعة.

وهكذا في الآية «وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين»^(٨). فقد تصور يونس أننا سوف لا نصيّق عليه.

(٧) العنكبوت: ٦١ - ٦٣ .

(٨) الأنبياء: ٨٧ .

الأوثان في القرآن

وهناك نكتة ظريفة نستطيع أن نستفيد منها من الآية ٦١، وهي: يا أيُّها المشركون، إنَّكم تعترفون بأنَّ خالق السماوات والأرضين والشمس والقمر وسائر الموجودات هو الله تعالى، وتدبرها بيده تعالى، فلماذا إذن أنتم عاكفون على أصنامكم ولا تؤمنون بالله تعالى؟ وفي الحقيقة أنَّ اعترافهم بذلك يعني أنهم يُقرّون بأنَّ الأصنام هي أيضاً مخلوقة لله تعالى، لأنها جزء من السموات والأرضين.

فأيُّما تعبدون من الموجودات السماوية أو الأرضية فهي مخلوقة لله تعالى؛ لأنَّه هو خالق السماوات والأرضين وجميع ما فيها، وأصنامكم منها. فعليه أنكم تقرّون بأنَّ الأصنام مملوكة لله تعالى بشكل محض، وليس لها تأثير، وكل ما لديها فهو من الله تعالى، إذن فلماذا تلبسون الحقّ بالباطل وترون الحقّ باطلاً والباطل حقّاً؟ وهل ذلك إلاّ عمل غير العقلاء. هكذا صرّحت الآية ٦٣، يعني: (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) بذلك. و(فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ): عن معجم مفردات الراغب: إنّ الإفك: كلّ مصروف عن وجهه الذي يحقّ أن يكون عليه^(٩). وينظر الاعتبار في معنى الإفك يصبح معنى الآية: أنّ الحقّ هو أن تعبدوا الله تعالى وحده، وذلك وفق إقراركم أنتم بأنّ تدبير الأمور وزمامها جميعاً بيده تعالى. لكنكم في الواقع تعملون خلاف ما تعتقدون، فأنتم بدل أن تعبدوا الله تعالى وحده

(٩) المفردات في غريب القرآن: ١٩.

تعبدون الأوثان التي لا حول ولا قوة لها. وعليه فجملة (فَأَنْتَ يُؤَفِّكُونَ) يكون معناها: أنكم ابتعدتم عن الحق وتركتموه وذهبتكم خلف الباطل، وهذا نفس معنى (فَأَنْتَ تُسْحَرُونَ) التي مضى بيانها في الآيات السابقة.

سؤال:

يمكن أن يُثار هنا السؤال التالي في الذهن، وهو: كيف يمكن للإنسان أن يجمع بين عقيدتين متضادتين، فمن جهة يعتقد بأن خالق السماوات والأرضين ومافيهما هو الله تعالى، ومن جهة أخرى يعتقد بأن هناك من ينفع ويضر وهو غير الله تعالى؟

وفي الحقيقة أن الجمع بين هاتين العقيدتين من الأمور المستحيلة، فمن جهة يعتقد أن جميع الموجودات بما فيها الأوثان نفسها من الله تعالى، ومن جهة أخرى يعتقد أن الأوثان لها تأثير، فكيف يمكن الجمع بين هاتين العقيدتين؟

إن الاعتقاد بهاتين العقيدتين في آن واحد أمر غير عقلائي ولا يوجد عقل يعتقد بهاتين العقيدتين المتضادتين بأن يقول: إن الأوثان لها تأثير مستقل، ويقول: إن الأوثان مخلوقة الله تعالى، وجميع مألديها منه تعالى. بالتأكيد أن هناك من يتصور بأن الله تعالى له التأثير المستقل، والأوثان لها تأثير بشكل غير مستقل، بل تأثيرها في طول تأثير قدرة الله تبارك وتعالى، أي تستمد تأثيرها منه تعالى.

كما نعتقد نحن في الأنبياء والأئمة عليهم السلام، فعيسى عليه السلام كان يحيي الموتى ولكن بإذن الله تعالى.

فهذه العقيدة في الأوثان من الناحية النظرية ممكنة عقلاً ولا غبار

الأوثان في القرآن

عليها، أمّا من الناحية العملية فتحتاج الى دليل لإثباتها.
فنقول هنا: إنّ عقيدة الوثنيين هل هي من النوع الأول؟ أي كانوا يعتقدون أنّ الأوثان مستقلة في تأثيرها، أم هي من النوع الثاني؟ أي أنّ الأوثان ليس لها تأثير مستقل عن قدرة الله تعالى وإرادته.
نستفيد من الآيات التي مرّ ذكرها: أنّ عقيدة الوثنيين كانت من النوع الأول، أي كانوا يعتقدون بالأوثان أنّها مؤثرة بشكل مستقل عن قدرة الله تعالى، وذلك من خلال قرينتين:

القرينة الأولى:

إنّ حرف الفاء في قوله تعالى: (فَأَنّى يُؤَفَّكُونَ) معناها أين تذهبون؟ أي ماذا تصنعون. فعندما يكون تدبير جميع الأمور بيد الله تعالى فلماذا تذهبون خلاف ذلك؟

والظاهر أنّ تلك الآية قد أوجدت ملازمة وعلاقة بين خلق الله تعالى للسموات والأرضين وبين ضرورة عدم الاعتقاد بالأوثان.
وهذه الملازمة صحيحة فيما لو كانت الأوثان لها تأثير مستقل لوحدها، وإلّا ففي حال القول والاعتقاد بتبعية تأثيرها للقدرة الإلهية لا توجد هناك ملازمة ; وذلك لأنّ الاعتقاد بتأثير الأوثان في هذه الحالة هو عين الاعتقاد بتأثير الله تعالى.

وكما هو الحال في طلب الحوائج من الأنبياء والأئمة عليهم السلام هو عين

طلب الحوائج من الله تعالى^(١٠).

القرينة الثانية:

(بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) أي أنّ عبادة الأوثان عمل غير عقلائي وأكثر الوثنيين يعملون بخلاف العقل وهذا المعنى ينسجم مع القول باستقلالية التأثير للأوثان.

وكما أوضحنا سابقاً أنّ الاعتقاد بين استقلالية الله تعالى في التأثير وبين استقلالية الأوثان بالتأثير مستحيلة من ناحية نظرية وعقلية. لكن القول بعدم استقلالية الأوثان وأنّ تأثيرها هو امتداد لتأثير الله تعالى غير مستحيل حتى يُقال أنّ هذه العقيدة هي خلاف العقل. إنّما المشكلة من ناحية عملية وعنده لا بدّ أن يكون لسان الآية بشكل آخر؛ مثلاً لا بدّ أن يقول: لا يوجد لديكم دليل لا أن يقول إنّ هذه العقيدة غير عقلائية.

الآية الرابعة:

(وَكَانَ سَأَلُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّي أَوْ

(١٠) مع الفارق الكبير في القياس بين الحالتين، ففي الحالة الأولى: وكما ذكرنا سابقاً، ممكنة من الناحية النظرية، ولكنها لم تثبت عملياً، ولم يتوفر الدليل عليها، في حين نجد ذلك في جانب الأنبياء والأئمة، يتوفر الدليل النقلي والعقلي على ذلك .

الأوثان في القرآن

أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ۖ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ۖ عَلَيْهِ
يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ (وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلُلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ
الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ ۖ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ
خَتَّارٍ كَفُورٍ) (١١).

ومفاد هذه الآيات كمفاد الآيات السابقة، تبين اعتراف وإقرار
المشركين بأن خالق السماوات والأرضين هو الله تعالى وحده.

توضيح:

يبدو أن المراد من: (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) هو نفس المراد من
«أكثرهم لا يعقلون» التي مرّ ذكرها في الآيات السابقة، حيث يمكن أن
يستعمل العلم بمكان العقل وبالعكس، والنكته في ذلك، أن الإنسان
الذي لا يفكر بعقله فهو جاهل لا يعلم، ومن لا يستفيد من عقله سوف
يرزح تحت نير الجهل.

و«أثما»: «ما» اسم موصول، وهو بمعنى «الذي»، وقد أدمجت مع «أن».
(من شجرة) تبين معنى «ما» وهو: أن جميع ما على الأرض من
الأشجار لو تتحول أقلاماً.

(سبعة أبحر): يبدو أن استعمال العدد «سبعة» هنا ليس لخصوصية
فيه، وإنما للكثرة، وهو بمعنى عدة بحار.

(ما نفدت كلمات ربّي): «النفاذ» الانتهاء، والمراد من «كلمات» هو العلم والتقدير الإلهي، وبكلمة مختصرة: لو تحوّلت جميع ما على الأرض من أشجار الى أقلام واتصلت البحار بعضها ببعض لتصير مداداً يُكتب به علم الله تعالى وتقديره لنفدت البحار قبل أن ينفد علم الله تبارك وتعالى وتقديره، وهذا هو المعنى المراد من قوله تعالى في سورة الكهف: (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا) (١٢). فالمراد من «المداد» هو الحبر.

وقوله: (ولو جئنا بمثله مدداً): يعني حتى لو أدركناه بمداد مثله، وهذه القرينة تدلّ على أنّ المراد من «سبعة أبحر» للكثرة لا العدد. والنكته في ذلك واضحة، وهي أنّ العلم والتقدير الإلهي مطلق غير متناه والبحار محدودة متناهية.

بعد أن اتضحت لنا القدرة الإلهية المطلقة في الآيات السابقة يتبيّن لنا في الآية (٢٩) مظهرٌ من مظاهر هذه القدرة، وهي: أنّه تعالى يُولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل، فمرةً يجعل عدد ساعات الليل أكثر من عدد ساعات النهار بإدخال ساعات من النهار في الليل، وأخرى بالعكس. وسخرّ الشمس والقمر دائبين في خدمة الإنسان، يستفيد منهما في نهاره وليله وفي سائر أموره الحياتية. وفي قوله تعالى: (ذلك بأنّ الله هو الحق): لقد بيّن جلّ وعلا في

الأوثان في القرآن

الآيات السابقة مسألتين: إحداهما: العلم والقدرة الإلهية المطلقة اللامتناهية، والأخرى ضرب لذلك أمثلة من إيلاج الليل في النهار والنهار في الليل وتسخير الشمس والقمر في خدمة الإنسان. أمّا هنا فهو يُبيّن أنّ الذي لديه هذه القدرة في أداء تلك الأمور وإنجازها في الحقيقة والواقع هو الله تعالى، وهذا هو الحقّ المبين وهو عين الواقع لا مجرد خيال.

ولذا فأَيّ موجود من الموجودات ليس له القدرة والقابلية على إنجاز هكذا أمور وأدائها فهو إله وهمي نشأ من وحي الوهم والخيال، وهو ليس إلهاً حقيقياً واقعياً، هذا وأن جميع الآلهة من الأوثان هي مجرد أوهام ليس لها واقع.

وعليه فأنتم أيّها الوثنيون لستم طلاباً للحقّ والحقيقة، وإنّما أنتم جُهال تسعون خلف الأوهام والخيالات، فما يُميز الإله الواقعي عن غيره: العلم والقدرة المطلقتان، وإلاّ فمن لا يمتلكهما فهو ليس بإله في الحقيقة والواقع وإنّما هو إله وهميٌّ من نسج الخيال.

قوله تعالى: (وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ): أيّ أنّ الله تعالى يسمو على كل شيء، وبيده مصير الموجودات، ولا سلطان لغيره في هذا الوجود، وكلّ ما عداه من آلهة مفروضة ليس لها حول ولا قوّة.

لقد بيّنت الآيات ٣١ و٣٢ من سورة لقمان جوانب أخرى من القدرة الإلهية المطلقة.

وإذا أمعنا النظر في الآيات ٢٥ إلى ٣٢ من السورة المذكورة نرى

نظاماً خاصاً متقناً يتبدى ببيان القدرة المطلقة لله تعالى، ثم يشرع ببيان مصاديق ذلك في الوجود، ويصل أخيراً إلى أنّ الإله الحقيقي والواقعي هو مَنْ لديه هذه الصفات، وكل ما عداه مجرد آلهة وهمية. ثم يشرع مرةً أخرى ببيان مصاديق أخرى للقدرة الإلهية المطلقة.

الآية الخامسة:

(أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) (وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ) (١٣).

هذه الآية وإن كانت لا تدلّ على المعنى المطلوب الذي نحن بصدد إلابّا أنها جاءت لتوضح الآية ٣٨ من سورة الزمر التي ستأتي لاحقاً، وهي بصدد بيان المعنى المطلوب.

لقد جاء في تفسير مجمع البيان والكشاف أنّ المشركين كانوا يُخَوِّفُونَ النبي ﷺ بأصنامهم، وكانوا يقولون له: لسنا نقول فيك، إلاّ أنّه أصابك بعض آلهتنا بالخبل والجنون لشتمك إيّاها وسبّك لها، ونخشى عليك أن تهلكك آلهتنا (١٤).

والمراد من «الذين من دونه» أي الأصنام.

(١٣) الزمر: ٣٦ - ٣٧ .

(١٤) الميزان في تفسير القرآن: ٣٠١/١٠.

الأوثان في القرآن

ولا يخفى أنَّ الأمم السابقة قد قالت: مثل هذا القول لأنبيائها ورسُلها. وهكذا قال قوم هود له عليه السلام: إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (١٥).

إنَّ هذه الآية إذا ضُمَّتْ إلى الآية ٣٨ من سورة الزمر - التي ستأتي لاحقاً - تدلُّ على أنَّ المشركين كانوا يعتقدون باستقلالية الأصنام عن الله تبارك وتعالى في تأثيرها نفعاً وضراً، ويزعمون أنَّ الأصنام لها القدرة على أن تُجَنَّ أو تُهْلِكَ مَنْ يتعرَّض لها.

ولرَّدِّ مثل هكذا خرافة وأوهام يقول الله تعالى: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ}، أي أنَّ الله تبارك وتعالى يكفي لحماية نبيه صلَّى الله عليه وآله، وليس للأصنام أيُّ تأثير عليه.

وهكذا سيأتي في الآية ٣٨ أنَّ الأصنام ليس لها نفع ولا ضرر.

الآية السادسة:

(وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّي أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ۖ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ) (١٦).

(١٥) هود: ٥٤ .

(١٦) الزمر: ٣٨ .

معنى (تدعون) من وجهة نظر القرآن نفس معنى «تعبدون» - سوف نوضح هذا البحث لاحقاً - ونعني: كل ما تعبدون من دون الله.

(هُنَّ): هذا الضمير فيها يعود إلى الأصنام. وهنا يطرح السؤال التالي: لماذا استعمل ضمير المؤنث للأصنام؟

وللإجابة على السؤال نقول: من المحتمل أن يكون بسبب تسمية المشركين للأصنام بأسماء الإناث، مثل «اللات والعزى».

لقد أشرنا في البحوث السابقة الى أن المشركين يعتقدون بأن الأصنام لها تأثير مستقل عن الله تعالى.

فمن هذه الآية والآيتين السابقتين نحصل على أن المشركين يعتقدون باستقلالية الأصنام والأوثان في تأثيرها نفعاً وضرراً بشكل لا يشوبه شك.

فالآية ٣٨ متممة للآية ٣٦، والآية ٣٦ توضح تهديدها وتبين أن الله تبارك وتعالى كاف لعبده وحام له - المقصود من عبده النبي ﷺ - والآية ٣٨ تبين هذا المعنى بعبارات أخرى من جملتها: (حسبي الله) - وتعني: وحده يكفيني ويحميني ولا أحتاج لغيره، وقد جاءت لتُتم المعنى المطلوب.

وهذا أيضاً يُثبت أن المشركين كانوا يعتقدون باستقلالية غير الله تعالى في التأثير نفعاً وضرراً، وهو دليل إضافي يضاف الى الأدلة السابقة في هذا الجانب.

وجملة (هل هُنَّ كاشفات ضرره): تنفي أن يكون للأصنام القدرة على جلب النفع والضرر، وهذا النفي دليل على أن المشركين كان لهم مثل هذه العقيدة، وهذا الكلام ينسجم مع القول باستقلالية الأصنام عن

الأوثان في القرآن

الله في تأثيرها نفعاً وضراً.

وجملة (أفرايتم): تدلّ بوضوح على أنّ عقيدة المشركين في الأصنام ونمط تفكيرهم هو أنّ الأصنام مؤثرة.

فجميع القرائن التي ذكرناها شاهدة على أنّ المشركين كانوا يعتقدون باستقلالية الأصنام والأوثان عن الله تعالى في التأثير يقول تعالى: إنّ الأوثان لا تنفع ولا تضرّ، ولو كان غير ذلك - أي الاعتقاد بأنّ الأصنام تنفع وتضرّ، ليس بشكل مستقلّ عن الله تعالى بل بإذنه تعالى - لما كان المشركون يواجهون بهذا الأسلوب من الخطاب من قبل الله تعالى وإنّما كان الأنسب أن يواجهوا بهذا الأسلوب، وهو: ما هو الدليل على أنّ الله قد فوّض للأصنام النفع والضرر؟

ويستفاد أيضاً ممّا جاء في «التفسير المبين»: باعتقاد المشركين في الأصنام أنّها تنفع وتضرّ بشكل مستقلّ عن الله تعالى، هكذا عبارته: «يعترفون بأنّ الله خالق كل شيء، ومع ذلك يعبدون سواه، ولا بدع فإنّ الجاهل بجهله يدين بتنافر وتناقض»^(١٧).

إنّ التضاد بين عقيدتين يتوقف على أنّ الأصنام تنفع وتضرّ مع الله، وتنفع وتضرّ بشكل مستقلّ عن الله تعالى.

وهذا غير ممكن من «ناحية» نظرية، وأمّا تأثيرها بشكل غير مستقلّ

(١٧) التفسير المبين: ٦١١، نشر توحيد ط ٢ منقّحة (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م)، ذيل الآية.

عن الله فلا يوجد فيه إشكال من تلك الناحية، وهذا كما نعتقده في تأثير الأنبياء والأئمة عليهم السلام بأنه بإذن الله تعالى، وليس بشكل مستقل عنه تعالى، على الرغم من أن هذه العقيدة تحتاج الى دليل من ناحية ثبوتها عملياً، ونحن لدينا الدليل على ثبوت هذه الميزة للأنبياء والأئمة عليهم السلام.

ولو نظرنا بشكل دقيق للأُمور لرأينا نحن المسلمين وأهل التوحيد أننا نتورط أحياناً بالشرك الخفيّ ونجمع بين عقيدتين متضادتين. فمن ناحية نعتقد أن تدبير الأمور في العالم كله بيد الله تعالى وحده لا شريك له في ذلك، ومن ناحية أخرى نقول: لولا فلان أو الأمر الفلاني لَكُنَّا قد هلكنا، أو: لولا الطبيب ومعالجته لنا لَمِتْنَا، فنغفل عن السبب الأصلي ونتوجه إلى السبب الظاهري القريب.

قال تعالى: وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (١٨).

روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «أنه قول الرجل: لولا فلان لَهَلَكْتُ ولولا فلان لضاع عيالي جعل الله شريكاً في ملكه يرزقه ويدفع عنه»، فقيل له عليه السلام: لو قال: لولا أن من عليّ بفلان لَهَلَكْتُ؟ فقال: «لا بأس بهذا» (١٩).

الغافلون من المسلمين بسبب الجهل والغفلة يجمعون أحياناً بين عقيدتين متضادتين. بالتأكيد أن المقصود من الجهالة هو عدم التعقل،

(١٨) يوسف: ١٠٦ .

(١٩) مجمع البيان ج ٥ ص ٤٦٢ ذيل الآية ١٠٦ من سورة يوسف.

الأوثان في القرآن

بمعنى أننا لو فكرنا بشكل عقلائي نحصل على نتيجة مؤداها: أن اجتماع هذه العقائد المتضادة غير ممكن، ولكن عندما نعيش في حالة الغفلة وتغشى قلوبنا الحُجب سوف نعتقد بمؤثرين ويغفلون عن الله تعالى. وسوف يتبين لاحقاً ملاك الشرك الخفي والشرك الجلي. ونوضح أيضاً جذور الجهل عند المشركين وأسبابها، ومنها التقليد الأعمى للآباء والأقرباء.

فالهدف من بعثة الأنبياء ﷺ هو إيقاظ الناس من الغفلة، ورفع الحجب المتراكمة على القلوب، وتنوير العقول. يقول الإمام عليّ عليه السلام: «فبعث فيهم رسله، وواتر إليهم أنبياءه».

ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منسي نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ، ويشيروا لهم دفائن العقول، ويروهم آيات المقدرة»^(٢٠).

الآية السابعة:

وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ^(٢١).

(٢٠) نهج البلاغة: الخطبة ١ .

(٢١) الزخرف: ٩ .

العزیز: بمعنى القادر الذي لا يُقهر ولا يُغلب.

الآية الثامنة:

وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ* وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (٢٢).

توضيح:

(وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ): هناك اختلاف في تحديد المراد من الضمير «هم»، فقد جاء في تفسير مجمع البيان: أنّ الضمير في الفعلين يعود على الوثنيين، بمعنى لو سألت هؤلاء المشركين من الذي خلقكم؟ يُجيبوك: الله الذي خلقهم (٢٣).

وفي تفسير كنز الدقائق: «لئن سألت العابدين أو المعبودين» (٢٤). بمعنى من المحتمل أنّ الضمير يعود على كليهما، أي لئن سألت المشركين، أو لئن سألت الأوثان. والاحتمالان موجودان في تفسير القرطبي (٢٥) أيضاً.

(٢٢) الزخرف: ٨٥ - ٨٧ .

(٢٣) مجمع البيان: ٤١/٨ ذيل الآية.

(٢٤) تفسير كنز الدقائق: ٣٨٠/٩ .

(٢٥) تفسير القرطبي: ١٦/ ١٢٢.

الأوثان في القرآن

وعليه لو كان الضمير يعود على المشركين يصبح المعنى هكذا:
يا أيها المشركون، إنّ الله تعالى خلقكم وإليه تدبير أموركم، فمن
غير المعقول توجّهكم لغيره من الأوثان.
ولو كان الضمير يعود على الأوثان فإنّه سوف يدل بشكل أطف
على هذا المعنى، وهو كما يلي:
يا أيها المشركون، إذا كان الله تعالى هو الذي خلق الأصنام وأنكم
تعترفون بذلك فكيف تتوجهون إليها من دون الله تعالى في حين أنّ
جميع ما تملكه هذه الأوثان هو الله تعالى؟
ويمكن القول: إنّ الضمير يعود على كلا الاحتمالين، أي المشركين
والأصنام، أي أنكم تعترفون بأنّ الله تعالى خالقكم جميعاً أنتم والأوثان.
«الشفاعة»: سوف يأتي بحث موسّع في الشفاعة نوضح من خلاله هل
المقصود منها الشفاعة الدنيوية أم الأخروية؟
ولو كان المقصود منها الأخروية كيف ينسجم ذلك مع عدم اعتقاد
الوثنيين بأصل وجود المعاد والآخرة؟ سوف نتعرض لذلك بشكل
مستقل لاحقاً.
والخلاصة: لقد انتهى بحثنا في معتقدات الوثنيين الإيجابية، وهي: أنّ
الله تعالى هو الخالق، الرازق، المالك، المحيي، المميت، المدبر، الربّ،
الحاكم، المجير، منزل الغيث. وقد دلّت على ذلك آيات عديدة من
القرآن الكريم.

الاعتقاد بالذرية لله تعالى

لقد كان لبعض الوثنيين مثل هذه العقيدة، فكانوا يقولون: إنّ الملائكة بنات الله.

ومن المؤكد أنّ هذه العقيدة لم تقتصر على المشركين وإنما كان لليهود والنصارى مثل هذه العقيدة أيضاً.

فاليهود كانوا يعتقدون بأنّ «عزير» ابن الله، والنصارى كانوا يعتقدون بأنّ «المسيح» هو ابن الله، وفي الحقيقة لم تخلّ اليهودية والنصرانية من ملاك الشرك وإن كان في الظاهر أنّ هؤلاء ليسوا من الوثنيين. وهناك آيات في القرآن تتعرض لهذه العقيدة نعرض لها تبعاً:

الآية الأولى:

وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانُتُونَ* بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٢٦).

(قالوا اتخذ الله ولداً): لقد جاء في تفسير الكشاف ومجمع البيان: أنّ المراد من الضمير في «قالوا» هم ثلاث مجموعات: اليهود، والنصارى، والمشركون.

وبَيَّن في الآيات السابقة أسماء هذه المجموعات الثلاث.

وقد بَيَّنّا في بداية هذا البحث أنّ اليهود كانوا يعتقدون بأنّ «عزير» ابن الله، والنصارى كانوا يعتقدون بأنّ «المسيح» هو ابن الله والوثنيين كانوا يعتقدون بأنّ الملائكة بنات الله.

فإنّ هذه الآية تبيّن الثقافة الخاوية للمشركين وأهل الكتاب في المعرفة الإلهية، وتوضّح مدى الجهل الذي يلفّ هؤلاء في معرفة الله تعالى، بحيث يضعون الله تعالى بمنزلة مخلوقاته، ويعتقدون بأنّ له صاحبة وأولاد. ولا يفوتنا أنّ الاعتقاد بالذريّة والتكاثر يحتاج الى الزوجة والصاحبة، وعليه فمن يعتقد بأنّ لله ذريّة وأولاد لابدّ أن يعتقد أيضاً بأنّ له زوجة وصاحبة.

إنّ هذه العقائد تبيّن مدى الانحطاط الذي بلغه الوثنيون وأهل الكتاب والسقوط في حل الوهم والخيال.

فمرّة يعتقدون بأنّ لله تعالى ولداً، وأخرى يعتقدون بأنّ له صاحبة وزوجة، وهو كسائر مخلوقاته يتوالد ويتكاثر.

يقول الإمام عليّ عليه السلام: «شبهوك بأصنامهم، ونحلوك حلية المخلوقين بأوهامهم»^(٢٧).

(٢٧) نهج البلاغة، فيض الإسلام: ٢٣٥ الخطبة ٩٠.

لو نظرنا إلى مثل هذه العقائد الوهمية فإنه يصبح من السهل الاعتقاد بعقائد وهمية أخرى بالقياس للمشركين، ويزول تعجبنا من معتقداتهم الأخرى.

فمثلاً ليس من العجب أن يضع المشركون المخلوقات التي ليس لها حول ولا قوة بمنزلة الله تبارك وتعالى. وذلك لأنه من الواضح أن من يضع الله تعالى بمنزلة مخلوقاته بحيث يتناسل ويتوالد ويتكاثر لا يُستبعد أن يُنزل بمنزلة الأصنام التي لا حول لها ولا قوة وينزل الأصنام بمنزلته.

الآية الثانية:

(٢٨)

توضيح:

(خلقهم): هناك ثلاثة احتمالات في تحديد المراد من الضمير «هم» كما جاء في تفسير مجمع البيان.

الاحتمال الأول: الوثنيون: أي أن المشركين جعلوا لله شركاء من الجن، في حين أن الله تعالى قد خلق المشركين. وعليه يُحتمل أن يكون غرض الآية هو ما يلي: أنه من المفروض بكم أن تعبدوا الله وحده لا غيره؛ لأنه هو الذي خلقهم، ولكن هؤلاء يتوجهون إلى الأوثان

والأصنام ويعبدونها من دون الله.

الاحتمال الثاني: أنَّ الضمير «هم» يعود على الجنّ، أي خلق الجنّ، فهؤلاء المشركون جعلوا الجن شريكاً لله تعالى، في حين أنَّ الله تعالى هو الذي خلق الجن. فيكون الغرض من الآية هو: أنَّهم يدعون أنَّ الجنَّ شريك لله تعالى ويعبدونه فهل يمكن أن يكون المخلوق شريك الخالق؟

الاحتمال الثالث: أن يكون مرجع الضمير «هم» في «خلقهم» كل من الوثنيين والجنّ. أي أنَّ الله تعالى خلق الإنسان والجنّ والوثنيين والعابدين والمعبودين جميعاً، وهذا الاحتمال أفضل من الاحتمالين السابقين.

«الجنّ»: يوجد احتمالان في تحديد المعنى المراد من الجنّ، كما جاء ذلك في تفسير مجمع البيان.

الاحتمال الأول: المراد من الجنّ: الملائكة، لأنّ معنى الجنّ هو المخفي والمستتر عن الأعين، والملائكة هم كذلك (٢٩).

الاحتمال الثاني: المراد هو الجنّ المعروف. ويمكن أن نستفيد من الآية التالية في دعم هذا الرأي وَأنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ

(٢٩) وقد أطلقت كلمة «الجن» على الجنين بهذه القرينة اللغوية، وهي الاستتار عن الأعين الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى النجم: ٣٢ .

الْجِنِّ فَرَادُوهُمْ رَهَقًا^(١).

لقد جاء في تفسير مجمع البيان: «يعوذون بمعنى يعتصمون ويستجيرون، وكان الرجل من العرب إذا نزل الوادي في سفره ليلاً قال: أعوذ بعزير هذا الوادي من شر سفهاء قومه، وكان هذا منهم على حسب اعتقادهم أن الجنّ تحفظهم»^(٢).
تحفظهم»^(٢).

ويمكن أن تكون هذه الآية قرينة دالة على أن المراد من «شركاء الجنّ» في الآية التي ندرسها: الجنّ المعروف، وهو يدل على أن الاعتقاد بربوبية الجن كان متعارفاً في أوساط الوثنيين.

(خرقوا له): أي اختلقوا له وموهوا وافتروا الكذب على الله، ونسبوا إليه البنين والبنات، فالمشركون قالوا: الملائكة بنات الله، والنصارى قالوا: المسيح ابن الله، واليهود قالوا: عزير ابن الله.

ويمكن أن نعرف من هذه الآية المستوى المنحط الذي بلغته ثقافة الوثنيين، وسيطرت الخرافات عليهم بحيث جعلوا الله تعالى بمنزلة من يكون له ولد؛ هذا وإنّ من ملازمات دعوى الولد أن تكون له زوجة وصاحبة، وقد نفى أن يكون له تعالى صاحبة وزوجة، كما جاء في الآية (١٠١) من سورة الأنعام: (وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً). ويمكننا أيضاً أن نعرف من هذه الآية أن اليهود والنصارى كانوا من المشركين؛ وذلك

(١) الجن: ٦.

(٢) مجمع البيان: ١/ ١٤٦، سورة الجن تفسير الآية السابقة.

الأوثان في القرآن

لأنه جاء في بداية الآية أنّ المشركين جعلوا الجن شركاء له تعالى .
وأضاف جعلوا له بنين وبنات حيث أن المراد من المجموعة الأولى
أهل الكتاب والثانية المشركون .
والظاهر من « خرقوا » أنه يعني المشركين بقسميهم، أي الذين
يعتقدون بالبنت لله تعالى والذين يعتقدون بالابن لله تعالى، فعليه يكون
أهل الكتاب من النصارى واليهود مشركين .

الآية الثالثة:

وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ* وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ
الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاءً أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ
(١) .

(وجعلوا له من عباده جزءاً): والمراد من «الجزء» هو النصيب،
يعني «حكموا بأنّ بعض عباده وهم الملائكة له أولاد» .

الغرض من هذه الآية إيقاظ المشركين من غفلتهم وإرجاعهم إلى
فطرتهم، وذلك كما يلي: كيف تجعلون لله تعالى البنات وأنتم لا
ترضون بالبنات لأنفسكم، بحيث إذا بُشِّرَ أحدكم بهنّ يظللّ وجهه مسودّاً
وهو كظيم من سوء ما بُشِّرَ به، وأنكم تفضلون البنين على البنات؟
فإذا كان الابن أفضل من البنت فالمفروض أنّ الله تعالى يختار

(١) الزخرف: ١٥ - ١٩ .

الابن؛ لأنّ البنت في نظركم هي دون الابن.
فغرض القرآن من بيان هذه الأمور هو أن يلتفت المشركون إلى قبح عقائد الشرك التي لوّثوا بها أنفسهم، وأن يعلموا أنّ عقائدهم ليس لها أساس من الصحة.

وخصوصاً فيما أُشير إليه من الآية (١٨)، حيث قال: إنّ النساء غالباً ما تميل إلى التزيّن والتجمل وهنّ في مقام الاستدلال وبيان المقصود أضعف^(١) بالقياس مع الرجال. فكيف تجعلون البنات شركاء لله تعالى وهنّ بهذه الأوصاف؟

وفي الآية (١٩) إشارة إلى نكتة أخرى لتوضيح العقائد الضحلة والمتدانية لهؤلاء؛ وهي كما يلي: هل كنتم شهوداً على أنّ الله خلق الملائكة أناثاً؟ فإذا لم تكونوا شهوداً فكيف تعتقدون بأنّها إناث؟

الآية الرابعة:

أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا^(٢).

(١) وذلك لعوامل اقتضتها أسباب الخلقة والتكوين في هذه الحياة الدنيا، كما وُضِّح في موضعه، وإلاّ ففي أصل الإنسانية لا يوجد أي فرق وتفاوت وتفضيل بينهما.
(٢) الإسراء: ٤٠.

الآية الخامسة:

وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا * مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ
كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ^(١).

توضيح:

نستفيد من الآيات السابقة أن اعتقاد الوثنيين وآبائهم بأن الله ولداً لا
يوجد عليه أي دليل وبرهان.
وقد جاء في تفسير مجمع البيان بشأن (واتخذ الله ولداً) أنها كانت
تمثل ثلاث طوائف:

١ - المشركين: الذين كانوا يعتقدون بأن الملائكة بنات الله.

٢ - اليهود: الذين يعتقدون بأن «عزير» ابن الله.

٣ - النصارى: الذين كانوا يعتقدون بأن «المسيح» ابن الله.

وجملة (وكبرت كلمة...) تُبين مدى قبح هذه العقيدة الممقوتة.

فكم هي قبيحة هذه العقيدة؛ فمن جانب يعتقد بأن الله تعالى خالق
السموات والأرضين، ومن جانب آخر يعتقد بأن الله تعالى ولداً فيجعل
له ممّا خلق بنين وبنات، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً!

(١) الكهف: ٤ - ٥ .

الآية السادسة:

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * إِن كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ^(١).

توضيح:

(قَالُوا): الضمير في قالوا يعود على المشركين؛ إذ في الآية (٨١) من سورة مريم قال: (وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً) تعني المشركين وهذه الآية هي استمرار للكلام السابق.
(تَكَادُ السَّمَوَاتُ) تُبَيِّن هذه الآية منتهى القبح الذي بلغته عقائد هؤلاء.

(وَمَا يَنْبَغِي): وهي تبين علة أن لا يكون له تعالى ولد، فمن غير المعقول أن يكون لله ولد وهو خالق السماوات والأرضين وما بينهما وخالق الوثنيين والملائكة فكيف يكون له ولد؟
(إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ...) أي كل من في السماوات والأرض من الملائكة والإنس والجن إلا ويأتي الله سبحانه عبداً مملوكاً خاضعاً ذليلاً.

يمكن أن نحصل من هذه الآيات على أن مستوى ثقافة الوثنيين من ناحية المعرفة الإلهية سطحية ومتدنية، وبعيدة كل البعد عن العمق، حيث تجعل الله تبارك وتعالى كالإنسان والحيوان الذي يتكاثر ويتوالد. فلا يُستبعد من هكذا

(١) مريم: ٨٨ - ٩٣ .

الأوثان في القرآن

ثقافة حمقاء أن تجعل الأصنام والأوثان في مستوى الله تعالى.

الآية السابعة:

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ
إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ^(١).

توضيح:

من الآيات المتقدمة نحصل على أن الملائكة الذين يعتقد بهم هؤلاء
المشركون أنهم بنات الله لا يمتلكون التأثير نفعاً ولا ضرراً، إنهم إلهاء مكرمون
لله تعالى، ونحصل أيضاً على أنهم كانوا يعتقدون بأن الملائكة تملك الاستقلالية
النامية عن الله في التأثير نفعاً وضرراً، وتستطيع أن تشفع بدون إذن الله تعالى.
وفي مقام الرد على مثل هذه العقائد يقول الله تعالى: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا
تَمْلِكُ الْإِسْتِقْلَالِيَّةَ فِي عَمَلِهَا وَتَأْثِيرِهَا، وَهُمْ لَا يَسْبِقُونَهُ تَعَالَى، بَلْ هُمْ
عِبَادُ اللَّهِ مَطِيعُونَ ذَائِبُونَ فِي طَاعَتِهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ، وَيَعْلَمُ
بِكُلِّ مَا عَمِلُوا وَيَعْمَلُونَ، وَلَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى لَهُمْ أَنْ
يَشْفَعُوا لَهُ. وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مَشْفِقُونَ.

لو كان المشركون يعتقدون بشفاعاة الملائكة بشكل غير مستقل عن

(١) الأنبياء: ٢٦ - ٢٩ .

الله وبإذن من الله كما نعتقد في الأنبياء والأئمة عليهم السلام لم تكن الآية: (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى) ; إذ المشركون في هذه الصورة لم يكونوا نافرين إذن الله في الشفاعة حتى يقول الله تعالى: إِنَّ الشفاعة لا تتحقق إلا بإذن الله ويوبخهم في هذا الاعتقاد.

ويستفاد بوضوح من الآية (٢٩) أنّ المشركين كانوا يعتقدون بألوهية الملائكة بشكل مستقل عن الله تعالى.

فمن هذا الباب قال تعالى في الردّ على المشركين: فمن يدّعي منهم أنّه إله سوف نجزيه جهنم، فهذه العبارة تدلّ بشكل تام على أنّ عقيدة المشركين في الملائكة تصفهم بأنهم كانوا آلهة في مقابل قدرة الله سبحانه وتعالى، وفي عرضها.

الآية الثامنة:

مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ^(١).

توضيح:

هنا نستفيد من هذه الآية أنّ اعتقاد المشركين بأنّ الله ولداً ولله شريكاً أمر مسلم ومفروغ منه، فمن هذا الجانب تنفي الآية هكذا عقائد، وتقول: ليس له شريك، وليس له ولد؛ لأنّ تعدّد الآلهة يؤدي إلى تمايز الآلهة، ويذهب كل إله بالذي خلقه كيف ما يشاء، ولتسلط بعض الآلهة على بعض، ولأختلّ نظام الخلق والتكوين.

(١) المؤمنون: ٩١.

الأوثان في القرآن

إنّ هذا أحد الأدلة الدالة على أنّ المشركين كانوا يعتقدون بأنّ الأصنام تعمل مستقلةً في تأثيرها نفعاً وضرراً عن الله تعالى، وسيأتي تفصيل ذلك في بحث التمانع لاحقاً.

الآية التاسعة:

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ تَقْدِيرًا ^(١).

توضيح:

(الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ): الظاهر أنّ هذا الوصف الذي يبيّن الله تعالى ملكية جميع السموات والأرض هو من الله الذي يبيّن فساد الاعتقاد بالولد؛ إذ من يكون له ملك السموات والأرض هو غني مطلق فكيف يتصور لله الغني المطلق وجود الولد.

أيّ أنّ الله الذي له ملك جميع السموات والأرضين وهو الغني المطلق كيف يمكن أن يكون له ولد، وأن يكون له شريك؟ وبعبارة أدق: أنّ الاعتقاد بأنّ الله ولداً وشريكاً سالبة بانتفاء الموضوع، أي لا يمكن أن يتحقق هذا الأمر مازال لا يوجد له موضوع يُحمل عليه.

(١) الفرقان: ١ - ٢ .

الآية العاشرة:

فَاسْتَفْتِهِمُ الرِّبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبُنُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ^(١).

توضيح:

هذه الآية بينت أموراً عديدة، ففي بداية الآية يأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يسأل المشركين: كيف جعلوا لأنفسهم البنين وجعلوا لله البنات، في حين أنهم يرون أفضلية الابن على البنت؟ وبعد ذلك يُزيح الستار عن عدم وجود الدليل المنطقي لدعواهم هذه، فيسألهم: من أين عرفتم أن الملائكة إناث؟ هل شهدتم خلقهم؟ وبعد ذلك يوضح أن دعواهم بأن يكون لله ولد مجرد افتراء، ودعوى ليس لها أساس من الصحة.

ارجعوا إلى عقولكم وابحثوا عن الخالق الحقيقي الواقعي، إن الإله الذي يجب أن يُعبد لا يمكن أن يكون له ولد، ولا يمكن أن يكون له ذرية. وهذا المعنى قد جاء في الآية الثالثة: فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ^(٢). وبعبارة بسيطة: ما هذه الزخارف والأوهام والخرافات التي تعتقدونها في حق الله تعالى؟ أية أحكام هذه تطلقونها؟ فهل يمكن للغني المطلق أن يكون له ذرية؟!

(١) الصفات: ١٤٩ - ١٦٠ .

(٢) الصفات: ٨٧ .

(أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ) هل لكم دليل على ما تدّعون؟ فلو كان صحيح ما تقولونه فهاتوا دليلكم.

لماذا تتكلمون بلا برهان؟

وبما أنّكم عاجزون عن إقامة الدليل والبرهان إذن لابدّ أن تقبلوا بخطأكم بأنكم تذهبون خلف الخرافات والأوهام.

وأيضاً يقول تعالى: هل أنّ الله ترك اختيار البنين على البنات.

(مَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) هل تدرون ماذا

تقولون؟

ففي هذه الجملة يُبين أنّ بطلان عقيدة أن يكون لله ولد بشكل، بحيث لا يوجد هناك إنسان عاقل وطبيعي يعتقد بذلك.

إنّ مَنْ يعتقد بذلك على الظاهر يعتمد على الصور الحسيّة المتغيرة.

وأخيراً يقول لهم: إذا كان صحيحاً ما تدّعون فأتوا بالدليل لأثبت

صحتّه؟

(أَصْطَفَى): الأصل فيه «أَصْطَفَى» وقد حُذفت همزة الوصل.

(مَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَفَلَا تَذَكَّرُونَ).

هذه الجُمْل تبيّن التعجّب من هذا العمل ومن هذه العقيدة: يا أيّها

الوثنيون، كيف تُفكّرون في الله، إنّ الإله الذي تتصورونه في أوهامكم

ليس هو الله كما في الحقيقة والواقع.

(جَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا): هناك عدّة احتمالات في تحديد

المعنى المراد من «الجن».

الأول: تشير الى عقائد المجوس الذين يعتقدون بيزدان وأهرimen. وهما أخوان، وبما أنّ الشيطان من الجنّ فأخو الله إذن من الجن، وبينهما علاقة قرابة. ويزدان هو إله الخير وأهرimen إله الشرّ. الثاني: المراد من الجن: الملائكة، وذلك كما بيّنا سابقاً، سُمّيت

الجنّ، جنّاً لاستتارهم عن العيون، وبما أنّ الملائكة غير شاخصة للعيان فأطلق عليها أنّها «جن»، وبما أنّهن من الإناث إذن الصلة الموجودة بينهن وبين الله تعالى هي صلة الأبوة. والذي نستفده هنا من هذه الآية كما مرّ سابقاً أنّ ثقافة المشركين بالنسبة للمعرفة الإلهية كانت بمستوى متدنٍ جداً بحيث يجعلون الله تعالى أقرباء وإخوة وبنات.

هذه المسألة تبيّن أنّ الإله الذي يتصوره المشركون لم يكن بالإله الحقيقي والواقعي، ولو كانوا يعرفون الله حقاً وحقيقة لما كانوا يتكلّمون بهذا الكلام الواهي والتافه، ولما كانوا يعتقدون بمثل هذه العقائد الوهمية، وهي تدلّ على رسوخ هذه العقيدة المنحرفة التافهة في أذهان هؤلاء، ممّا يدعو إلى مواجهة قويّة معهم لعلّهم يفيقون من غفلتهم في المستقبل.

الآية الحادية عشرة:

أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ * ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن

الأوثان في القرآن

ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى (١).

توضيح:

(اللات والعزى ومناة): كل واحدة من هذه الأسماء اسم لصنم من الأصنام التي كان يعبدها الوثنيون. وقد جاء في تفسير «الميزان»: أن هذه الأصنام الثلاثة لها أهمية بالغة جداً لدى الوثنيين، ومن هذا الجانب تناول الباري عز وجل اسم هؤلاء الأصنام الثلاثة من سائر الأصنام الأخرى. «الثالثة الأخرى»: يوجد فيه وجهان:

الأول: أنهما صفتان جاءتا لأجل التأكيد، كما في «يطير بجناحيه»، بمعنى أن مناة هي الثالثة من الأصنام، وهي غير الأولين. الثاني: «الأخرى» مشتق من «تأخر»، بمعنى أن منزلة «مناة» دون «اللات والعزى» (٢).

(إن هي إلا أسماء سميتوها) هؤلاء الشركاء لله (بنات الله) هي مجرد سلسلة من الأوهام التي اخترعتموها في أذهانكم أنتم وآباؤكم، وهي ليست أكثر من مجرد أسماء لا حقيقة وراءها في الواقع. وهذا مجرد تلاعب منكم في الألفاظ. ولا يوجد أي دليل من قبل الله على صحة هذه الدعاوى، إنما تتبعون ظنونكم وأهواءكم، ولستم من أتباع

(١) النجم: ١٩ - ٣٠.

(٢) مجمع البيان: ٢٩٤/٩، ذيل الآية.

العقل والمنطق.

(فلله الآخرة والأولى) الله مالك السماوات والأرضين، وإليه المبدأ والمعاد. هذه الجملة تبين خواء الأصنام، وأنها لا حول لها ولا قوة، وليس لها القدرة والقابلية على الشفاعة كما يعتقد الوثنيون بأنها تشفع، وإنما الشفاعة بيد الله تعالى، وحتى شفاعة الشافعين تحتاج الى الإذن الإلهي ومتوقفة عليه.

(لَيَسْمَوْنَ الملائكة تسمية الأنثى): سموا الملائكة بأسماء مؤنثة؛ لأنهم كانوا يعتقدون بأنها بنات الله، علماً بأنه لا يوجد أي أساس ودليل منطقي لهذه الدعوى والتسمية، وإنما مجرد اتباع للظنون ولا يمكن أن يكون الظن أساساً في بناء العقيدة، وإنما لابد للعقيدة من أن تُبنى على أسس متينة.

(فاعرض عمن تولّى عن ذكرنا): فسّر الذكر بالتوحيد، بمعنى أن كل من رغب عن التوحيد والوحدانية فقد أعرض عن ذكره تعالى. (ذلك مبلغهم من العلم): أي أنّ تبيينهم لمثل هذه العقائد التي ليس لها أساس من الصحة وتركهم للتوحيد هو آخر ما توصّل إليه وعيهم وفهمهم. لقد تمّ إفحام المشركين في هذا الخطاب بأسلوب منطقي متقن. أراد أن يقول تعالى: إنّ هؤلاء لو كان لديهم مستوى عال من الوعي والإدراك والفهم لما كانوا يقتفون سير الظنون والتقليد الأعمى، وكان المفروض عليهم أن يسلكوا سبيل العلم واليقين، ولا يسمحوا لأنفسهم أن يجعلوا الله شركاء وذريّة.

ولا يخفى أنّ أكثر المفسرين قالوا: إنّ عبارة «ذلك» اسم إشارة

للذين اختاروا الحياة الدنيا على الآخرة.

الآية الثانية عشرة:

قل هو الله احد * الله الصمد * لم يلد و لم يولد * ولم يكن له كفوا أحد (٣).

(الصمد): الغني غير المحتاج الذي لا جوف له (٤).

(كفواً): الكفو أي النظير كالشريك والصاحبة.

استجاب قراءة سورة التوحيد في الصلوات لها دلالة واضحة على أنَّ عقيدة الشرك كانت راسخة جداً في الأذهان (٥) ومن خلال هذه التوصيات والتأكيدات يُريد الله تعالى أن يقضي على هذه العقيدة.

فالعقيدة الشرك والذرية كانت سلسلة من الأوهام التي استحكمت في أذهان هؤلاء. ومن خلال هذه السورة أراد تبارك وتعالى أن يُزيل من تلك الأذهان هذه العقائد ويُطهرها.

الآيات التي تدلّ على أنَّ المشركين كانوا يعتقدون بأنَّ الله ذريةٌ وأولاداً لم تنحصر بتلكم الآيات التي ذكرناها، وإنَّما هناك آيات عديدة أخرى قد ذكرها القرآن الكريم وهي تدلّ على هذه العقائد، ولمزيد من التحقيق يمكن مراجعتها، وهي: الآية (١١١) من سورة الإسراء والآية

(٣) الإخلاص: ١ - ٤ .

(٤) تفسير عليّين: ص ٦٠٤ .

(٥) في عصر نزول القرآن الكريم.

(٣٤) و(٣٥) من سورة مريم، والآية (٦٨) من سورة يونس، والآية (١٠١) من سورة الأنعام، والآية (٨١) من سورة الزخرف، والآية (٤) من سورة الزمر، والآية (٣) من سورة الجن.

الاعتقاد بأنّ الله صاحبة

من العقائد النافهة للمشركين اعتقادهم بأنّ الله تعالى زوجةٌ وصاحبةٌ؛ هذه العقيدة وإن كان القرآن الكريم لا يُصرّح بها، إلا أنّنا يمكن أن نجزم بوجودها من خلال آيات القرآن الكريم التي ينفي بها الله تعالى نسبة الزوجة والصاحبة له.

لاحظوا هذه الآية: **وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا * وَأَنَّهُ كَانَ يَفُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا** (٦).

رفض التوحيد

من العقائد المرفوضة للمشركين التنفّر غير الطبيعي للوحدانية وعدم ذكر الله تعالى وحده، لكنّهم يستبشرون عندما تذكر آلهتهم. وهناك آيات عديدة تبين ردود أفعالهم السلبية البالغة واشمئزازهم عندما يُذكر الله وحده.

هناك آيات عديدة تدلّ على أنّهم عندما يُذكر الله الواحد يُبدون

الأوثان في القرآن

ردود أفعال سلبية بالغة ويتنّفرون من ذلك، وعندما يسمعون التوحيد لله يفرون ولم يكن لديهم استعداد لقبول ذلك، في حين على العكس عندما تُذكر آلهتهم يفرحون بها ويحبّون أن تُذكر. نستعرض الآيات التي تناولت هذه المسألة:

الآية الأولى:

وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا^(٧).

توضيح:

(أكِنَّة) جمع كنان أي الغطاء^(٨).

(يفقهوه) هناك: احتمالان لمعناها:

الأول: كراهة أن يفقهوه.

الثاني: لئلا يفقهوه.

(نفوراً): ورد في الكشاف لها معنيان:

الأول: مصدر، وهو مفعول مطلق يُفيد التوكيد، بمعنى «نفروا نفوراً»

«ولوا إيلاءً» فروا أي فرار وغابوا أيما غياب.

ثانياً: «نفور» جمع نافر، مثل قعود «قاعد» بمعنى: ولوا نافرين، أي

(٧) الإسراء: ٤٦ .

(٨) مجمع البيان: ج ٤ ص ٢٨.

فرّوا وهم بحال النفرة والاشمئزاز.
فإنَّ أيَّ واحد من هذين المعنيين يدلّ على ما نريد إثباته، وهو رفض
المشركين لعقيدة التوحيد والنفرة منها.
ويمكن أن نفهم نكتة أخرى من هذه الآية، وهي: أنَّ علّة هروب
هؤلاء من القرآن كان بسبب أنَّ القرآن يدعو إلى التوحيد، ولو لم يكن
يدعو إلى التوحيد لما كانوا يفرّون منه (وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ
وَخُدْهُ وَكُلُوا...) إنهم يفرّون عندما يُذكر التوحيد في القرآن الكريم.

الآية الثانية:

وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَخُدْهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا
ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ^(٩).
هذه الآية تدلّ بصراحة على المعنى الذي كنّا بصدده ذكره.

الآية الثالثة:

شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا
بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى
الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ

الأوثان في القرآن

يُنِيبُ^(١٠).

هو كما جاء في تفسير الكشاف^(١١): ما تدعوهم إليه من إقامة دين وتوحيد.

الآية الرابعة:

أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ^(١٢).

توضيح:

من الضروري أن نذكر بأن الآيات السابقة واللاحقة للآيات أعلاه جاءت بشأن التكذيب بنبوة النبي ﷺ، وكان المشركون متعجبين من أن يكون شخص ما نبياً ومبعوثاً للبشرية، وهذا الشخص هو يтим أبي طالب، أي محمد بن عبد الله ﷺ وهو فقير ليس لديه مال وثروة، وكانوا يقولون: لِمَ لم يُبعث من سادة قريش ومُترفيها من أصحاب المال والثروة والمكانة الاجتماعية؛ ولن يُوحى إليهم؟!

لقد جاء في تفسير مجمع البيان في شأن نزول هذه الآيات: إن أشراف قريش - كانوا عشرين نفراً، منهم الوليد بن المغيرة وهو أكبرهم،

(١٠) الشورى: ١٣ .

(١١) الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل: ٢٧٨/١، ط ١٣٨٥ هـ .

(١٢) ص: ٥ - ٧ .

وأبوجهل وأبي وأمية ابنا خلف وعتيبة وشيبة ابنا ربيعة والنضر بن الحارث - أتوا أباطالب وقالوا: أنت شيخنا وكبيرنا وقد أتيناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك، فإنه يُسَفِّه أحلامنا ويشتم آلهتنا، فدعا أبوطالب رسول الله ﷺ وقال: يا ابن أخي، هؤلاء قومك يسألونك، فقال: ماذا يسألونني؟ قالوا: دعنا وآلهتنا ندعك وإلهك! فقال ﷺ: «أتعطونني كلمة واحدة تملكون بها العرب والعجم؟»، فقال أبوجهل: لله أبوك، نعطيك ذلك عشر أمثالها، فقال: «قولوا: لا إله إلا الله»، فقاموا وقالوا: (أجعل الآلهة إلهاً واحداً) فنزلت هذه الآيات (١٣).

نستفيد من الآيات السابقة بعض النكات:

الأولى: أن الاعتقاد بالتوحيد وترك عبادة الأصنام كان في غاية التعجب لدى المشركين، كما جاء (إن هذا شيء عجاب) و«عجاب»: هو صيغة مبالغة من التعجب، حتى قيل إن هذه المسألة مستحيلة ولم يكونوا يتوقعون أن يطرح مثل هكذا اقتراح عليهم ولا يمكن أن يُصدق. نلفت النظر الى هذه النكتة التي ستساعدنا لاحقاً في بحثنا في مسألة: أن المشركين هل كانوا يعتقدون باستقلالية آلهتهم عن الله، أم أنها غير مستقلة في التأثير نفعاً وضرراً.

ومن الواضح أنهم كانوا يعتقدون باستقلاليتهما عن الله تعالى، وإلا فإن لم يكن كذلك فإن ترك عبادة الأصنام والتوجه إلى التوحيد الإلهي لم

يكن له موضع للتعجب.

الثانية: لم يكن لزعماء الكفر أيّ جواب منطقي لمقترحات النبي ﷺ عليهم، وإنما كانوا يواجهونه ﷺ بالحيرة والتعجب والتشكيك.

الثالثة: يدعو بعضهم البعض للثبات على الديانة الوثنية (واصبروا على آلهتكم) أي اثبتوا على عبادة آلهتكم، واصبروا على دينكم وتحملوا المشاق لأجله، فاليوم يوم الاستقامة والثبات والدفاع عن عبادة الأصنام.

الرابعة: جاء في تفسير الكشاف بشأن هذه الآية: (إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُّ...) أي أنّ هذا الأمر - عبادة الأصنام - يُريده الله تعالى ويحكم بامضائه وما أَراده الله فلا مردّ له ولا ينفع فيه إلّا الصبر^(١٤) وأنا سوف نتصر على محمد.

فلو كان المعنى كما ذكره صاحب تفسير الكشاف إذن لا بدّ أن نقول إنّ الوثنيين لم يكونوا يعتقدون إنّ الله يرضى على الديانة الوثنية فقط بل إنّ الله قد أمر بها ورعّب.

ويمكن أن نستدل على وجود مثل هذه العقيدة بين الوثنيين من خلال الآيات التي كانت تخاطبهم وتقول لهم: لا يوجد لديكم أيّ دليل وبرهان من قبل الله تعالى ولم يُنزلْ بذلك سلطاناً.

ولكن يُحتمل أن يكون معنى الآية: إنّ عبادة الأوثان هي مرادنا

(١٤) الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل: ج ٤ ص ٧٣.

وغايتنا. نقدّس الأصنام لأنها آلهتنا وعليه لأجل الدفاع عنها لا بدّ أن نثبت ونصمد ونتحمّل معاناة الدفاع عنها.

الخامسة: (إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ) وهو قول المشركين، هذا الذي يدعوننا إليه محمّد من التوحيد وخلع الأنداد من دون الله محض كذب وافتراء. تبين هذه الجملة العقيدة الراسخة لهؤلاء في دينهم ووثنيّتهم، بحيث يرون العقيدة التي تخالف عقيدتهم محض كذب وافتراء وفكرة خيالية.

الفصل الثاني

عقيدة الوثنيين بالأوثان

يُطرح بحث مهمّ جداً، وهو: هل أنّ الوثنيين كانوا يعتقدون بأنّ الأوثان مستقلة في تأثيرها عن الله تعالى - أي أنّها ندُّ لله تعالى أم أنّهم يعتقدون بأنّها غير مستقلة في تأثيرها عن الله تعالى، أي أنّها تستمدّ تأثيرها منه؟ لأجل توضيح المسألة لابدّ من القول: إنّهُ يمكن أن يُتصور نوعان من اعتقاد الوثنيين.

النوع الأوّل: الاعتقاد بالمالك الأحَد المهيمن على كلّ العالم، والذي لا يوجد مالك آخر غيره، والأوثان مجرد وسائط للفيض، وهي مخلوقات مقدّسة يُوصل الله تعالى من خلالها الفيوضات الى سائر المخلوقات الأخرى.

النوع الثاني: الاعتقاد بأنّ الأوثان مستقلة في تأثيرها عن الله تعالى، وهي ندٌّ وشريك وتساويه تعالى في القدرة، ولها حاكمية وقدرة مستقلة عنه، وأنّها تنفع وتضرّ، ولها ربوبية في العالم مثلما لله القدرة والربوبية. وبكلام آخر: أنّ الله واحد بالعدد، يعني يوجد أكثر من رب واحد من

الأوثان في القرآن

هؤلاء الأرباب: الله تعالى الأوّل والثاني هبل، والثالث اللات والرابع عزّى. ومن الواضح أنّ الموحّد الحقيقي لله تعالى لا يعتقد بمثل هذه العقيدة، فهو يعتقد بالله الواحد بالذات، أي الخالق والمدبّر للعالم، ولا يوجد أحد غيره تعالى، مطلق غير محدود، وله الولاية والهيمنة على كل العالم.

(ليس في الدار غيره ديّار).

وبالتأكيد سوف يتوضح المطلب أكثر عندما ننقل لاحقاً أقوال العلماء العظام، أمثال العلامة الطباطبائي + وغيره.

النتيجة: أنّ الاعتقاد بالاستقلالية لدى الوثنيين معناه: أنّ غير الله تعالى له تأثير في هذا الوجود بحيث ينفع ويضرّ، ويمرض ويُشفي، ويُلتجأ إليه في سائر الأمور.

فالأوثان تعمل وفق نظام مستقل عن الله تعالى.

بعد أن توضّحت لنا من ناحية نظرية أنّه يمكن أن نتصور أنّ للوثنيين نوعين من العقيدة، لابدّ أنّ نتحقق ونلاحظ أنّ الأدلة تؤيد أيّاً من هذين التصورين؟

فهل هي تؤيد الاعتقاد الاستقلالي، أم الاعتقاد غير الاستقلالي؟
الأدلة والآيات القرآنية تدلّ على أنّ الوثنيين كانوا يعتقدون بأنّ الأوثان مستقلة في قدرة تأثيرها عن الله تعالى، وهذه بعض الأدلة التي تدلّ على هذه الدعوى.

مساواة الأوثان بالله تعالى:

الدليل الأول: اعتراف المشركين بالتساوي في الآخرة
أول الأدلة الدالة على أنَّ الأوثان في عقيدة المشركين مستقلة في
تأثيرها عن الله: هو أنَّ المشركين كانوا يعتقدون بتساوي الأوثان مع الله
في قدرتها على التأثير نفعاً وضرراً.

الآية الأولى:

وَقِيلَ لَهُمْ أَئِنَّ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ* وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ^(١٥).

توضيح:

(فكذبوا...): أي جُمِعُوا وطرح بعضهم على بعض في جهنم،
«ككب» معناه في الأصل الطرح والتكرار، وتضعيف فاء الفعل يُفيد
تكرار المعنى، والضمير «هم» يعني الآلهة التي يعبدونها.
(الغاوون) أي: العابدون، والمعنى: اجتمع المعبودون من دون الله
والعابدون لها في النار.

(إِنْ كُنَّا) (إِنْ) مخففة من (إِنَّ) الثقيلة، وفي الأصل «تالله إنا كنا»، حيث
حُذِفَ النون والألف منها، ويصبح المعنى: قسماً بالله حقاً إنا كنا في ضلال

الأوثان في القرآن

يُبَيِّنُ عن الحقِّ وذهاب ظاهر عن الصواب، إذ سَوَّيْنَاكُمْ بالله وعدلناكم به في توجيه العبادة إليكم. وفي الآية ﴿إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ^(١٦) يَبَيِّنُ علة الضلالة والانحراف، ومعناها إِنَّ اشْتِبَاهَنَا وَخَطَأَنَا يَكْمُنُ فِي أَنَّ كُنَّا نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ، ونعتقد بأنَّ لكم قدرة على النفع والضرر مستقلة.

قولهم: إِنَّ الأوثان مساوية لله تعالى في قدرتها على التأثير إِنَّمَا يَصِحُّ فيما لو كان هؤلاء يعتقدون أَنَّ الأوثان مستقلة في تأثيرها عن الله تعالى، مثلما يُدبر الله تعالى الأمور لوحده، وله القدرة والتدبير في هذا العالم. فالأوثان كذلك لها هكذا قدرة وتدبير أيضاً.

فإرادة القول بالتساوي تتحقق، سواء قلنا بأنَّ الأوثان مساوية له تعالى في تدبير جميع الأمور أو في بعض الأمور، ففي أية جهة من القول بالتساوي لا بدَّ لهم من أن يعتقدوا بأنَّ الأوثان نَدَّ وَعَدِلَ اللهُ تعالى.

فهؤلاء كانوا يعتقدون بأنَّ الأوثان تضرُّ وتنفع - سوف نوضح ذلك لاحقاً - وهذا الكلام صحيح فيما لو كانت الأوثان تستطيع بشكل مستقل أن تنفع وتضرَّ مثل الله تعالى.

أما لو لم تكن كذلك كما لو أَنَّ الأوثان غير مستقلة عن الله تعالى وكلَّ ما عندها فهو منه تعالى ففي هذه الحالة لا يصدق هنا أن نقول: إِنَّ الأوثان مساوية لله تعالى في قدرتها.

الحاصل: أنَّ القول بالتساوي يُلَازِم كون أنَّ الأوثان مستقلة في تأثيرها عن الله تعالى، وأنَّها أنداد.
 (المجرمون) جاءَت بمعنيين:
 الأول: الذين اقتدينا بهم.
 الثاني: الشياطين.
 (الشافعين): أصدقاء من غير الأقارب.
 (صديق حميم): الأصدقاء من الأقارب.
 «حميم» الأهل والأقرباء الذين تربطنا بهم وتربطهم بنا صداقة ومحبة^(١٧).

والمستفاد من معنى الآيات هو: أنَّ الوثنيين يوم القيامة يقولون: حقاً إنَّنا كنَّا نعيش في أوهام وخرافات، بحيث كنَّا نتصور أنَّ الأوثان مثل الله وتساويه في قدرته، في حين هي لم تكن كذلك، فهي لا تستطيع أن تنفعنا ولا تنفع نفسها.
 وأخيراً نُشير الى هذه النكتة وهي: أنَّ من المحتمل أن يكون سبب حرق الأوثان يوم القيامة في نار جهنم مع أنَّ بعضها من الحجر أو الخشب إنَّما هو للكشف عن خواء هؤلاء وذلتها، وأن يرى المشركون بأعينهم ذلتها، وأنَّها لا تستطيع أن تدفع عن نفسها شيئاً.

(١٧) مجمع البيان: ٣٣٨/٧، تفسير الآية ١٠١ من سورة الشعراء.

الأوثان في القرآن

الآية الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ^(١٨).

توضيح:

(يعدلون): أي يرون الأوثان مثل الله ويساؤونها به تعالى، يُقال: «عدلت به غيره» يعني سويتُ به غيره^(١٩).

ونظير هذه الآية قوله تعالى: أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَلِلَّهِ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ^(٢٠).

يعني: هل يوجد معبود آخر مع الله؟ لا.

إنَّ هؤلاء الوثنيين ووفقاً لعقيدتهم ربّما جعلوا المخلوقات بمنزلة خالقهم وساواها بينه وبينهم بسبب الجهل وعدم المعرفة ونظيرها آية: قُلْ هَلْ مِثْلُ شُعْبَاءَ كُنتُمْ تَشْهَدُونَ أَلَمْ يَشْهَدُوا أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ

(١٨) الأنعام: ١ .

(١٩) مجمع البيان : ٤ ص ٦ ذيل الآية.

(٢٠) النمل: ٦٠ .

بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (٢١).

حاصل الاستدلال هو: أنَّ كلمة «عدل» بمعنى المثل والمساوي، ونستفيد منه أنَّ المشركين جعلوا الأوثان في عرضه تعالى وساووا بينها وبينه. وجاء في نهج البلاغة في مجال مساواة الأوثان بالله تعالى في عقيدة المشركين:

«كذب العادلون بك إذ شَبَّهوك بأصنامهم، وأشهد أنَّ من ساواك بشيء من خلقك فقد عدل بك» (٢٢). عبارة «المساواة» الواردة في خطبة نهج البلاغة تدلّ بوضوح على أنَّ عقيدة الوثنيين هي جعل الأوثان والله تعالى في مرتبة واحدة وفي عرض واحد. وممَّا ذكرنا فيما سبق من دلالة كلمة المساواة والعدل على عقيدة الوثنيين في استقلال الأوثان نستطيع أيضاً أن نستدل بالآيات التي ذكرت فيها كلمة «ند» و«أنداد» إذ الند أيضاً بالمعنى المساوي كما سيأتي توضيحه.

الآية الثالثة:

الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

(٢١) الأنعام: ١٥٠.

(٢٢) نهج البلاغة ترجمة فيض الإسلام: ص ٢٣٥ الخطبة ٩٠ و ٩١، ترجمة السيدين الإمامي والآشتياني.

الأوثان في القرآن

فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٣).

توضيح:

هذه الآية تُوضِّح عقائد الوثنيين ثم ترفضها وتقول: يا أيها الوثنيون، إنكم تعتقدون بأن لله نظيراً وشريكاً ولا يمكن أن يكون ذلك، إنما الله إله واحد لا شريك له ولا نظير.

هذه الآية ونظائرها تُصرِّح بأن الوثنيين يعتقدون بأن الأوثان في عرض الله وفي مرتبته وعلى شاكلته، والأوثان مثل الله، يعنى: أنهم كانوا يعتقدون بتأثيرها نفعاً وضرراً بشكل مستقل عن الله تعالى.

كلام في معنى كلمة «ند»:

في البداية ننقل كلمات اللغويين والمفسرين حول كلمة «أنداد» ثم نستخلص النتيجة من هذه الأقوال:

١ - الند: ما كان مثل الشيء يضاده في أموره، والنديد والندّ سواء، وجمع الندّ: أنداد (٢٤).

٢ - الفرق بين الندّ والمثل: هما بمعنى واحد في اللغة، وقال بعضهم: لا يُقال الندّ إلا للمثل النادّ، أي المخالف، من ناددته: أي خالفته

(٢٣) البقرة: ٢٢.

(٢٤) كتاب العين للفراهيدي: ١٠/٨ مادة (ند).

ونافرتة (٢٥).

٣ - النَّدّ والنديدة: مثل الشيء الذي يضادّه في أموره وينادّه، أي يخالفه، من ندّ البعير: إذا نفر واستعصى (٢٦).

٤ - الأنداد: جمع «ندّ» بالكسر، وهو مثل الشيء الذي يضادّه في أموره ينادّه: أي يخالفه (٢٧).

٥ - الأنداد والأشباه والأمثال نظائر، واحدها ندّ، وقيل: هي الأضداد، وأصل النَّدّ: المثل المناوئ ناوّه مناوئة: عاداه (٢٨).

٦ - نديد الشيء: مشاركته في جوهره، وذلك ضرب من المماثلة، فإنّ المثل يُقال في أيّ مشاركة كانت، فكلّ ندّ مثل وليس كلّ مثل ندّ (٢٩) ... إنّ النَّدّ يُقال في ما يُشارك في الجهر فقط، والشبه يُقال فيما يشارك في الكيفية فقط، والمساوي يُقال فيما يشارك في الكميّة فقط، والشكل يُقال فيما يشارك في القدر والمساحة فقط، والمثل عامّ في جميع ذلك، ولهذا لما أراد الله تعالى نفي الشبيه من كل وجه خصّه بالذكر، فقال:

(٢٥) معجم الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري: ٥٣٥ رقم ٢١٥٤ .

(٢٦) الفائق في غريب الحديث: ج ٣ ص ٢٨٤.

(٢٧) النهاية لابن الأثير: ج ٥ ص ٣٥.

(٢٨) مجمع البيان: ج ١ ص ٤٦٠.

(٢٩) معجم الفروق اللغوية: ٥٣٦، مادة (ند).

(ليس كمثله شيء) (١).

٧ - يقال: «لقي القوم أضدادهم وأندادهم» أي أقرانهم، «النَدَّ» بالكسر: المثل والنظير جمع أنداد (٢).

٨ - الكفو: المماثل، النَدَّ (٣)، المثل، الشبه، الشبيه: النظير، النَدَّ: المثل (٤).

٩ - النَدَّ: بكسر النون والجمع أنداد، النظير والمثل ومنه (فلا تجعلوا لله أنداداً) (٥).

١٠ - قوله: (أن تجعل لله ندّاً) بكسر النون: أي مثلاً، وجمعه: أنداد، ويطلق النَدَّ على الضدّ أيضاً (٦).

١١ - فلا (تجعلوا) نهى. (لله أنداداً) أي أكفاءً وأمثالاً ونُظراء، واحدها (ندّ) (٧).

(١) المفردات في غريب القرآن: ص ٤٦٣.

(٢) تاج العروس: ٤٠٥/٢.

(٣) معجم ألفاظ الفقه الجعفري: ص ٣٤٨.

(٤) المصدر السابق: ٣٦٨.

(٥) معجم لغة الفقهاء، محمد قلعجي: ٤٧٧.

(٦) مقدمة فتح الباري لابن حجر: ١٨٩.

(٧) تفسير القرطبي: ج ١ ص ٢٣.

١٢ - قال الإمام السجّاد عليه السلام: «ولا ندّ لك فيعارضك»^(١).

الخلاصة: يُستفاد من مجموع الكلمات أنّ المتبادر الظاهر من كلمة «ندّ» معنى المثل والنظير، وأحياناً تستعمل بمعنى الضدّ أيضاً. الأقوال الخمسة الأولى يستفاد منها أنّ (الندّ) بمعنى المثل، ولكن لها قيد إضافي، وهو عبارة عن المثلية التي لها مواجهة ومنازعة مع مثيلها وتتدخل في شؤونه؛ هذه النكتة يمكن أن نستفيد منها من كلام (الصحيفة) أيضاً، ويستفاد من كلام (مفردات الراغب) أنّ (الندّ) عبارة عن المشابهة في الجوهر والذات، لا في العوارض الأخرى.

والنتيجة: أنّ الندّ لو كان بمعنى المثل - وهو مورد اتفاق الجميع - لثبت المطلب الذي ندّعيه، يعني أنّ الوثنيين كانوا يعتقدون بأنّ الأوثان مثل الله ونظير له، وقد نهاهم الله تعالى عن ذلك العمل.

أمّا لو أخذنا قيد الإضافة بنظر الاعتبار وقلنا: إنّ الندّ عبارة عن المثل الذي هو في مواجهة وتنافر مع مثله فإنّ هذه الدلالة سوف تدلّ على معنى أوسع من المطلب الذي ندّعيه؛ لأنّها سوف لم تقتصر في دلالتها على أنّ الأوثان مستقلة عن الله تعالى في قدرة تأثيرها، بل تدلّ على أنّها تتدخل في شؤون الله تعالى وتتصرف على خلاف إرادته في العالم.

والفخر الرازي أيضاً استفاد من معنى كلمة (الندّ) أنّ الأوثان في عقيدة الوثنيين هي مستقلة عن الله تعالى في تأثيرها، وهي عدل له وتقع

(١) الصحيفة السجّادية: الدعاء ٤٧ يوم عرفة.

الأوثان في القرآن

في عرضه، ففي ذيل الآية (فلا تجعلوا لله أنداداً). يقول: ما الندى؟ الجواب: أنه المثل المنازع، وناددت الرجل: نافرتة، من ندّ ندوداً إذا نفر، كأنّ كلّ واحد من النّدين ينادّ صاحبه وينافره ويعانده. فإن قيل: إنهم لم يقولوا: إنّ الأصنام تنازع الله، قلنا: لمّا عبدوها وسمّوها آلهة أشبهت حالهم حال من يعتقد أنّها آلهة قادرة على منازعته^(١).

ويُستفاد بوضوح من العبارة أعلاه: أنّ الفخر الرازي أيضاً سلّم أنّ عقيدة الوثنيين في الأوثان أنّها مستقلة عن الله تعالى في تأثيرها، وهي في عرضه، بل إنّها تستطيع أن تُنازع أيضاً.

ولو أخذنا بنظر الاعتبار التعريف الوارد في «مفردات الراغب» عندها لا بدّ أن نقول: إنّ ذات الأوثان كالذات الإلهية في نظر المشركين، وإنّها تشبه الله تعالى في الجوهر والذات.

والخلاصة: إنّ الأوثان تستطيع أن تُؤدّي أعمالاً كالأعمال التي يُؤدّيها الله تعالى ويقوم بها. وطبعاً هنا سوف تكون في عرض الله لا في طوله، أي مستقلة عنه تعالى لا تستمد قدرتها وتأثيرها منه تعالى.

الدليل الثاني: إطلاق الآلهة على الأوثان:

الدليل الثاني على أنّ الأوثان في عقيدة الوثنيين مستقلة عن الله تعالى في تأثيرها، وأنّها في عرضه: هو إطلاق كلمة «إله» و «آلهة» على

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج ٢ ص ١٢٢.

الأوثان في آيات قرآنية.

وما يظهر ويتبادر من إطلاق كلمة «إله» يدل على أنّ إطلاق هذه اللفظة على الأوثان كان بنفس المعنى الذي يطلق على الله تعالى وتدلّ أيضاً على أنّهم كانوا يعتقدون بآلهة كثيرة، أولها الله تعالى، والبقية كانت الأوثان، فلنقرأ هذه الآيات المباركة:

الآية الأولى:

وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ^(١).

توضيح:

مفاد هذه الآية أنّ جميع الآلهة مرجعها الى الله تعالى ومنحصرة به تعالى وتُعرف الله تعالى أيضاً بأنّه الرحمن الرحيم. الظاهر أنّها تريد أن تقول: يا أيها الوثنيون، في تصوركم أنّ الآلهة متعددة في هذا العالم، الحقيقة ليست كذلك فإنّه لا يوجد أكثر من إله واحد. إذن الآية لها دلالة على أنّ الأوثان طُرحت بعنوان (إله) في عقيدة الوثنيين، ومن هنا جاء نفي الآلهة في مورد الآية.

الآية الثانية:

إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ

(١) البقرة: ١٦٣.

الأوثان في القرآن

الْحَكِيمُ^(١).

توضيح:

الآيات المتقدمة عن هذه الآية جاءت في مجال ادعاء النصارى: أن المسيح عليه السلام هو ابن الله، ولا يمكن أن يولد أحد بدون أب، لذا هو إله أيضاً. وقد رد الله تعالى على دعواهم هذه فقال: إن قصة عيسى مثل قصة آدم في الخلقة، فكما خلق آدم من تراب من دون أم وأب كذلك خلق عيسى بأمر الله تعالى بدون أب.

ثم أمر الرسول الأكرم ﷺ أن يباهل النصارى لعدم إيمانهم بالحق لكن النصارى لم يباهلوه خوفاً، لذا قبلوا بالجزية. وقد بين القرآن الكريم أن عيسى بن مريم لم يكن إلهاً ولا ابناً لله تعالى، ولم يكن إله غير الله سبحانه ولم يتخذ الله تعالى ولداً أو ابناً له.

الآية الثالثة:

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا * لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ

(١) آل عمران: ٦٢.

وَمَنْ يَسْتَنْكَفُ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرُ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ^(١).

توضيح:

(لن يستنكف المسيح): روي أن وفداً من نصارى نجران قالوا لنيينا عليه السلام: يا محمد، لم تعيب صاحبنا؟ قال: ومن صاحبكم؟ قالوا: عيسى عليه السلام. قال: وأي شيء قلته فيه؟ قالوا: تقول: إنه عبد الله ورسوله، فنزلت الآية ^(٢). يعتقد النصارى بثلاثة آلهة، وهي: «الأب» و«الابن» و«روح القدس»، وقد رفض الله تعالى هذه العقيدة وقال: لا إله إلا إله واحد وهو الله تعالى. يا أيها النصارى، إنكم ترون أن عيسى إله وهو ابن الله، والوثنيون يعتقدون بأن الملائكة بنات الله ويطلقون عليها آلهة، وفي الحقيقة أن عيسى والملائكة كلهم يعترفون بعبوديتهم لله تعالى. الآية تقول بأن عيسى لن يستنكف من أن يكون عبداً لله، وكذلك الملائكة المقربون لا يستنكفون عن ذلك، وظاهر الآية في مقام رفض عقيدة النصارى والوثنيين وهذا المفاد من الآية يدل على أن عقيدة النصارى في عيسى والوثنيين في الملائكة كان خلاف ذلك، أي كانت عقيدتهم أن عيسى والملائكة كانوا مستنكفين عن عبادة الله، وكان لهم استقلالية عن الله تعالى. إن كلام القرآن «إن عيسى والملائكة لم يأبوا أن يكونوا عباداً لله تعالى» له مورد فيما لو كان النصارى والوثنيون يعتقدون باستقلال إثنين في مقابل الله

(١) النساء: ١٧١ - ١٧٢.

(٢) تفسير عليين: ١٠٥ ذيل الآية.

الأوثان في القرآن

تعالى. وإلا لا مورد له ويكون خلاف الحكمة المنزهة عنها، الساحة الإلهية.
والمراد من «كَلِمَتُهُ» في الآية: هو نبي الله عيسى عليه السلام، وبما أنه وُجِدَ
وخلق بقول كلمة «كن» عبّر عنه بلفظ «كلمة».

الآية الرابعة:

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ
لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ^(١).

توضيح:

هذه الآية تدلّ أيضاً على أنّ النصارى كانوا يطلقون على عيسى
«إله»، وأنهم كانوا يعتقدون بالوهية عيسى، والقرآن يرفض هذه العقيدة
وينكرها عليهم ويردّها فيقول: لا يوجد إله إلا إله واحد وهو الله تعالى.

الآية الخامسة:

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا
الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَنتَكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ
لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ^(٢).

وهذه تدلّ بصراحة على أنّ هؤلاء كانوا يطلقون «إله» على غير الله

١. المائدة: ٧٣.

٢. الأنعام: ١٩.

تعالى ويعتقدون بتعدد الآلهة.

(لتشهدون): ظاهرة في أنّ هؤلاء كانوا يعتقدون بتعدد الآلهة.
(مع الله) تدلّ أيضاً على أنهم كانوا يعتقدون بآلهة مستقلة عن الله، وهي عدل له ومساوية له في القدرة. وواضح أنّ صدق كلمة «مع» تتناسب مع القول بالاستقلال والعرضية، لا مع القول بالطولية وعدم الاستقلال. وسيأتي توضيح هذا المورد عندما نشرح الاستدلال الثالث.

الآية السادسة:

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ
إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ^(١). أرسل نوح ليلبّغ قومه أنّه لا إله إلا الله الواحد. ومن الواضح أنّ الناس في زمن نوح كانوا يعتقدون بآلهة متعددة.

وهذا يتناسب مع القول بالاستقلال والعرضية، لا مع القول بالتبعية والطولية؛ لأنّه لو فرضنا أنّ هؤلاء كانوا يعتقدون بالطولية والتبعية ولم يعتقدوا باستقلال الأوثان لكان من المفروض أن يعترضوا على نوح ويقولوا له: لا يوجد مبرر لأن تدعونا الى الله الواحد لأننا نعتقد بالوحدانية، وأنّ الأوثان وسائط للفيض لا أكثر، وهو تعالى جعلها وسائط للفيض، وعليه نحن لا نعتقد بعقيدة مخالفة للتوحيد حتى تأتينا وتنقذنا من الضلال.

الأوثان في القرآن

ولم يكن هناك مورد بتاتاً لدعوة الناس الى الوحداية من قبل الله تعالى.
ونظير هذه الآية: وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ^(١)، والآية: وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ^(٢)، والآية: وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ^(٣).

الآية السابعة:

وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ^(٤).

توضيح:

(إيائي فارهبون): يظهر منها أنّ الوثنيين كانوا يخافون الأوثان ويخشونها من أن يصل إليهم منها ضرر، أو يمنع مانع من أن يصل إليهم

١ . الأعراف: ٦٥.

٢ . الأعراف: ٧٣.

٣ . الأعراف: ٨٥.

٤ . النحل: ٥١.

نفع، وهذا يدل على أنهم كانوا يرون أن الأوثان مثل الله تنفع وتضر، وكانوا يعتقدون بحاكميتها المستقلة عن الله تعالى. وأن المراد من (لا تتخذوا إلهين): أن لا تعتقدوا بأكثر من إله واحد. وليس معناه أن الاعتقاد بإلهين غير مقبول وبأكثر من ذلك مقبول كما قد يتصور ذلك.

الدليل الثالث: المعية

إن من الأدلة على أن الوثنيين كانوا يعتقدون باستقلالية الأوثان، وأنها في عرض الله تعالى وعدل له هو وجود كلمة «مع» في لفظ «مع الله» بدليل أن ظهور هذه الكلمة هنا يدل على أنهم كانوا يعتقدون بأن الأوثان كفؤ الله ونظير له.

وعبارة (مع الله) جاءت في ستة عشر مورداً في القرآن نستعرض بعض هذه الموارد وندرسها.

يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ * وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١).

توضيح:

إن كلمة «مع» في عبارة «مع الله» ظاهرة في المساواة؛ يعني: هل أنكم ترون الأوثان كفؤاً لله وعدلاً له - أي تساويه تعالى في القدرة -

الأوثان في القرآن

نظير الآية نسويكم ربّ العالمين والمساواة معناها الاعتقاد بأن الأوثان في عرض الله ومستقلة عنه وعدل له وهذا لا ينسجم مع الاعتقاد بالتبعية وعدم الاستقلال لأنه في هذه الحالة لا معنى لوجود كلمة «مع» وذلك لأن جميع ما تملكه الأوثان من قدرة عندئذ فهو من عند الله. ومفاد (أم) المساواة، يعني أيهما أفضل الله أم الأوثان؟ ومعناها هل أنّ الاثنين متساويان؟ !

الدليل الرابع: التمانع:

والدليل على أنّ الوثنيين كانوا يعتقدون بمساواة الأوثان بالله تعالى وأنّها عدل له ومستقلة عنه: هو دليل التمانع، ولقد بيّن القرآن الكريم هذا الدليل بشكل لافت للنظر، وهو من أهم الأدلة في البحث. وخلاصة الاستدلال بهذا الدليل: أنّ التدبير في جميع الأشياء مساوٍ لعدم تعدد المُدبّر لتلك الأشياء.

وتدبير الأشياء وإدارتها لا ينسجم مع التعدد بينهما، فلو كان هناك أكثر من مدبّر في العالم لاختلّ نظام الوجود، فمن وحدة النظام في العالم نصل الى وحدة المدبّر للعالم والكون والوجود وقد ذكر القرآن الكريم نماذج لنفي تعددية الخالق، وإليك بعضاً منها:

الآية الأولى:

أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ * لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ^(١).

الآية الثانية:

مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ^(٢).

توضيح:

مرّ علينا معنى هاتين الآيتين، وهما متقاربتان في دلالتهما، ومفادهما وهو: لو كان هناك أكثر من إله في هذا العالم لفسد النظام الذي يسير وفقه العالم، وهذا الفساد يحدث في إدارة العالم فيما لو كانت الأوثان مستقلة وفي عرض الله تعالى وعدل له كما يعتقد الوثنيون.

لأنه لو كانت عقيدة الوثنيين أنه لم تكن للأوثان إرادة مستقلة عن الله تعالى، وأن إرادتها وقدرتها في طول إرادة الله وقدرته، وأنّها تستمدّها من الله تعالى، والمؤثر الحقيقي هو الله تعالى، والأوثان مجرد معبودات محضة تابعة - كما نعتقد نحن في أئمة أهل بيت النبي ^ع - كما كان هناك فسادٌ يحدث في إدارة العالم؛ وذلك لوحدة الإدارة

(١) الأنبياء: ٢١ - ٢٢.

(٢) المؤمنون: ٩١.

الأوثان في القرآن

والتدبير في هذه الحالة، ولا يوجد هناك تعدد في الآلهة الذي مؤداه الاختلال في توازن العالم ونظامه.

ولأجل تقريب المعنى نقول: كما هو الحال في إحدى المؤسسات أو المدارس يوجد مدير لها ومعاونون له، لكن مرجع اتخاذ القرار وتسيير أمور المؤسسة أو المدرسة هو بيد المدير، ولا يؤدي ذلك الى الاختلال في العمل، وإنما يبقى تسلسل الارتباط في المراتب والدرجات، أما الاختلال في العمل والفوضى وغيرهما تنتج فيما لو كان هناك أكثر من مدير في العمل، كل مستقل عن الآخر، وله صلاحية اتخاذ القرار لوحده، ففي هذه الحالة سوف يكون الهرج والمرج سمة الحكمة على هذه المؤسسة أو المدرسة.

مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ^(١)، ومن الواضح جداً أن لازم ذلك هو الاعتقاد بأن الأوثان في عرض الله وعدل له؛ لأنه في هذه الحالة يكون لكل إله قدرة مستقلة عن الآخر، ويتحيز الفرصة لأجل السيطرة على الآخر؛ لكي يوسع دائرة إلهيته وهيمنته.

أما لو اعتقدنا بالطولية والتبعية فسوف تكون المسألة سالبة بانتفاء الموضوع حسب اصطلاح أهل المنطق؛ لأن جميع الأوثان تحت هيمنة

(١) المؤمنون: ٩١.

قدرة واحدة منذ البداية، ولا يوجد إلا قدرة واحدة وهي القدرة الحاكمة المهيمنة والمسيرة، ولا توجد قدرة لموجود غير الله لتنفع هذه الموجودات في مورد سيطرة بعضها على البعض الآخر. وفي رأينا أن دليل التمانع هو أقوى الأدلة وأوضحها.

الدليل الخامس: (من دون الله):

والاستدلال لإثبات هذا المطلب هو: أن المشركين كانوا يعتقدون باستقلالية الأوثان أمام الله تعالى، وهي في عرضه وعدل له، وعبارة «من دون الله» قد جاءت في آيات متعددة من القرآن الكريم ومنها:

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ^(١).

توضيح:

إن عبارة «من دون الله» في هذه الآية وآيات أخرى وصفت الآلهة، وتدل في مضمونها على أن الأوثان في عقيدة الوثنيين كانت مستقلة وعدلاً له، ومعنى «غير» مساوٍ لمعنى المغايرة والاختلاف بين الأوثان وبين الله تعالى، فكل منهما في طرف مغاير للآخر، وهذا المعنى هو نفس عقيدة: أن الأوثان في عرض الله تعالى ومستقلة عنه وند له.

(١) البقرة: ١٦٥.

الأوثان في القرآن

ولو كانت عقيدتهم التبعية والطولية وعدم الاستقلال كما كانت تصدق عبارة «من دون الله» هنا أبداً؛ لأنه على فرض القول بالطولية أن الله الأحد هو الحاكم على العالم، وجميع الأوثان تحت إرادته وقدرته بعنوان وسائط للفيض الإلهي بنفس النسق والترتيب الذي نعتقده في الأنبياء والأئمة عليهم السلام.

فإحياء الموتى وشفاء المرضى من قبل عيسى عليه السلام والأنبياء عليهم السلام والأئمة عليهم السلام هو «بإذن الله» لا «من دون الله». «بإذن الله» معناه أن عيسى عليه السلام لا يمتلك أي استقلال في شفاؤه المرضى وإحيائه الموتى.

ففعل عيسى عليه السلام هو عين فعل الله، ولا يوجد هنا اختلاف وتمايز، نظير ذلك ما يقوله الأب لخدمته: افعل جميع ما يأمر بك به ولدي الكبير بإذن مني. وفي هذه الحالة فإن أمر الولد الكبير للخدم هو عين أمر الأب للخدم ليس بمعزل عنه.

والتمايز والغيرية تظهر في حالة أن يكون لكل واحد منهما عن الآخر استقلالية في التدبير.

الخلاصة: إن تصرف جميع الموجودات التي هي «غير الله» لو كانت مستمدة منه تعالى وفي طول قدرته وبإذنه فإن هذه الأفعال هي عين الفعل الإلهي، وتسمى «بإذن الله». أما لو كانت مستقلة عنه تعالى وهي «من دون الله» فهي عين الشرك، ونفس الاعتقاد بأن الأوثان مستقلة وفي عرض الله وندله.

الدليل السادس: توهين الأوثان:

الاستدلال السادس على أنّ الوثنيين كانوا يعتقدون باستقلالية الأوثان عن الله تعالى، وأنها في عرضه توهين الأوثان من قبل الله تعالى، فهي لا حول ولا قوة لها ولا تنفع ولا تضر.

يقول تعالى: كل ما موجود في العالم فهو من الله تعالى، الله تعالى هو الذي يُنزل الغيث من السماء، الله تعالى هو المدبر في السماوات والأرض...، ثم يقول تعالى: أروني ماذا خلقت أوثانكم؟ وماهي آثار خلقها؟

ومن أسلوب مطالبة الله تعالى للوثنيين إراءتهم إياه آثار خلق الأوثان في هذا العالم نستدل على أنّ هؤلاء الوثنيين كانوا يعتقدون بأنّ الأوثان نظير الله تعالى، له آثار الخلق والتأثير في هذا العالم، وأنها تستطيع أن تقف موقف المتحدي أمام الله تعالى وتظهر قدرتها بذلك.

ومن هذه الناحية تدلّ الآيات التي سنقرأها على المعنى المطلوب. وإلاّ ففي حالة كون عقيدة الوثنيين هي الاعتقاد بتبعية الأوثان وعدم استقلالها عن قدرة الله، وأنها ليس لها أيّ تأثير من دونه تعالى لكان جواب هؤلاء الوثنيين هنا أمام الله هو: نحن الوثنيين لا نعتقد بأنّ الأوثان لها القدرة المستقلة على الخلق والتدبير وندّ حتى نُبَيّن آثارها وبعبارة أخرى: سالبة بانتفاء الموضوع، ولا يوجد لها أيّ تأثير حتى يكون لها أثر نقوم ببيانه، ولا يوجد محلّ لمثل هكذا توقّع.

وتوجد آيات عديدة في هذا الجانب ونحن نقتصر على آيتين منها

الأوثان في القرآن

الآية الأولى:

قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ^(١).

الآية الثانية:

خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ * هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ^(٢).

توضيح:

(بغير عمد ترونها) جاءت بمعنيين:

الأول: بدون عمد كما ترون أنها بلا عمد.

الثاني: بغير عمد مرئية والمعنى أن لها عمداً لا ترونها.

(رواسي) أي الجبال الثابتة.

(١) الرعد: ١٦.

(٢) لقمان: ١٠ - ١١.

(أن تميد بكم): ذكر لها وجهان:

الأول: كراهة أن تميد بكم.

الثاني: لئلا تميد بكم.

وفي مجمع البيان تفسير الآية (١٥) من سورة النحل والآية (٣١) من سورة الأنبياء:

قال: «الميد» بمعنى الاضطراب والحركة في الجهات المختلفة.

«بثّ فيها» أي فرق في الأرض.

«كل دابة» أنواع الحيوانات التي تدبّ على وجهها.

«زوج»: صنف^(١).

الدليل السابع: «الشرك ظلم عظيم»:

الاستدلال السابع على أنّ عقيدة هؤلاء الوثنيين في الأوثان أنّها في عرض الله ومستقلة عنه هو: «إنّ الشرك لظلم عظيم».

وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ^(٢).

توضيح:

(لظلم عظيم): جاء في تفسير الكشاف: لأنّ التسوية بين من لا نعمة إلّا

(١) مجمع البيان: ٧٨/٨، ذيل الآية.

(٢) لقمان: ١٣.

الأوثان في القرآن

هي منه، ومن لا نعمة منه البتة، ولا يتصور أن تكون منه ظلم لا يكتنه عظمه. يستفاد من عبارة التساوي التي جاءت في تفسير الكشاف: أنّ الزمخشري يرى أنّ الوثنيين كانوا يعتقدون بمساواة الأوثان لله، وأنّها في عرضه وندّ له.

«ظلم» الظلم يصدق في حالة كون الوثنيين يعتقدون بمساواة الأوثان لله تعالى وأنّها كفؤ له.

فهنا لم يُراعَ حقّ الله تعالى، وجعل الفقير المحض الذي لا حول ولا وقوة له كفؤاً للغني المطلق ومساو له.

وأما بناءً على مراعاة الطولية وتبعية الأوثان لله تعالى، وأنّ جميع ما تملكه من حول وقوة فهو من عند الله تعالى فلا يوجد هناك أيّ ظلم؛ وذلك لأنّه لم يُبخس حقّ الله تعالى في هذه الحالة.

الدليل الثامن: «ألفاظ الشريك والشرك»:

الاستدلال الثامن لإثبات أنّ المشركين كانوا يعتقدون باستقلالية الأوثان عن الله تعالى وأنّها في عرضه وكفؤ له هي ألفاظ «الشرك» و«الشريك» وما يُشتق من هذه المادة.

لو دققنا النظر في ألفاظ «الشريك» و«الشركاء» و«تشرك» و«أشركوا» وغيرها من استعمالات هذه المادة الاسمية والفعلية، والتي جاءت في أكثر من عشرين آية من آيات القرآن الكريم. وكذلك لو دققنا النظر جيداً في تشهد الصلاة: «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له»، لاستطعنا أن نقول: إنّ جميع هذه الآيات تدلّ على أنّ المشركين كانوا

يعتقدون باستقلالية الأوثان عن الله تعالى، وأنها كفؤ له، وأنها في عرضه، وذلك لأنّ صدق لفظ «الشريك» يكون في مورد يتشارك أكثر من شخص في شيء ما، على أن يكون لهم حق التصرف فيه في عرض واحد على نحو لا يكون لأيّ من الشركاء على شريكه أيّ سلطة، بل كل شريك كفؤ لشريكه الآخر.

فمثلاً لو قيل بأنّ زيداً وعمراً شريكان في هذه الدار فمعناه أنّ لكلّ منهما سهم من ملكية هذه الدار.

فهناك فرق بين أن يكون زيد وعمرو شريكين في الدار، وبين أن يكون زيد مالكاً للدار لوحده وعمرو مستأجراً لها. ففي الحالة الثانية لا توجد ملكية لعمرو في الدار، وإنّما هو مستأجر للدار، ووضعت الدار تحت تصرفه بعنوان الاستعارة والأمانة ليستفيد منها.

لذلك لا يُقال عُرفاً: إنّ عمرو المستأجر للدار شريك لزيد المالك لها. أمّا في الحالة الأولى فإنّهم يرون عمراً شريكاً في الدار إلى جانب زيد. ففي الحالة الأولى أنواع التصرفات في الدار من قبيل البيع والشراء متوقفة على إذن الاثنين؛ لأنّهما يملكان في عرض واحد، بخلاف الحالة الثانية فإنّ زيداً يمتلك كافة الصلاحيات لوحده، وليس لعمرو أيّ شأن في البين.

فالحالة الأولى هي حالة العرضية في العلاقة، وأمّا الثانية فهي الطولية في العلاقة. فلو أنّ الوثنيين كانوا يعتقدون بالأوثان بعنوان الشريك والشركاء لله تعالى - وقد نهى الله تعالى عن اتخاذ الشريك - فمعناه أنّ عقيدتهم في

الأوثان في القرآن

الأوثان كانت أُنْهَا كَفُوْا وَعَدَلَ اللهُ تَعَالَى . فَمَفَادُ الشَّرِيكَ هُوَ نَفْسُ مَفَادِ التَّسَاوِي الَّذِي مَرَّبَّاهُ فِي الْآيَةِ : إِذْ نُسَوِّيْكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ^(١) .

اشتباه الوهابيين:

لو التفت الوهابيون الى معاني هذه الألفاظ كما اتَّهَمُوا الشَّيْعَةَ بِالشَّرِكِ ؛ لِأَنَّ الشَّيْعَةَ لَا يَعْتَقِدُونَ أَبَدًا بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَوْ الْأُتَمَّةَ ﷺ فِي عَرْضِ اللَّهِ وَكَفُوْا وَعَدَلَ لَهُ . وَإِنَّمَا يَعْتَقِدُونَ بِأَنَّ الْأَفْعَالَ الصَّادِرَةَ عَنْهُمْ ﷺ نَظِيرَ الشَّفَاءِ وَقَضَاءِ الْحَوَائِجِ كُلِّهَا «بِإِذْنِ اللَّهِ» وَبِقُدْرَتِهِ فَوَضَّحَهَا اللَّهُ تَعَالَى لَهُؤُلَاءِ الْعِبَادِ الْمَكْرُمِينَ عِنْدَهُ تَعَالَى .

فَفِي كُلِّ لَحْظَةٍ يُرِيدُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ ﷺ وَوَفَقًا لِمَصْلَحَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَلُطْفًا بِعِبَادِهِ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَأْتُوا بِالْمَعَاجِزِ ، وَأَنْ يُحْيُوا وَأَنْ يَشْفُوا . وَفِي اللَّحْظَةِ الَّتِي لَا يُرِيدُ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَأْتُوا بِتِلْكَ الْأُمُورِ ، فَهَمَّ عِبَادُ مَكْرُمُونَ ، وَهَمَّ يَفْتَخِرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا ، «أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ» ، وَقَدْ رَدَّ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ عَلَى هَذَا الْاِشْتِبَاهِ وَالشَّبَهَةِ الَّتِي أَوْرَدَهَا الْجَاهِلُونَ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا^(٢) .

(١) الشعراء: ٩٨ .

(٢) الكهف: ١١٠ .

إنَّ أرفع درجات الفخر والشرف للنبي ﷺ وللأئمة ؑ هو كونهم عباداً لله تعالى، فالعباد لا يستطيعون أن يكونوا عدلاً وكُفُواً وشركاء للخالق جلَّ شأنه، فكما كان عيسى ؑ يُحيي الأموات ويُشفي المرضى فالنبي ﷺ والأئمة ؑ أيضاً يفعلون ذلك مثل عيسى ؑ وبإذن الله، وربما جاءوا بأمور خارقة للعادة أكثر ممَّا جاء به عيسى ؑ.

الدليل التاسع: عدم الملكية

الدليل التاسع لإثبات أن المشركين كانوا يعتقدون بأنَّ الأوثان عدل لله تعالى ومستقلة عنه هذه الآية الشريفة.

قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ (١).

توضيح:

(مثقال): وزن.

(فيهما): في خلق السماء والأرض.

(شرك): نصيب.

(له منهم): أي ليس لله من الأوثان.

(ظهير): معاون^(١).

بيان الاستدلال:

نستطيع أن نثبت ما ندّعيه من بعض فقرات هذه الآية الشريفة.

الفقرة الأولى:

«من دون الله»، فقد مرّ توضيحها في الدليل الخامس.

الفقرة الثانية:

«لا يملكون» معناها: لا تملك الأوثان مقدار ذرة في السماوات والأرض. إنّ هذه الفقرة جاءت في مقام الاعتراض على المشركين وتوضيح عقائدهم الخيالية والوهمية لتُبين أنّ للأوثان في نظر المشركين وعقيدتهم ملكية في السماوات والأرض ولها فيهما حصّة. ومن الواضح أنّ الملكية والحصّة والنصيب ملازمة لكون الأوثان عدلاً لله تعالى، وهي نفس معنى العلاقة العرضية بين الله والأوثان وهي مستقلة عنه، وإلاّ ففي حالة كون العلاقة طولية بين الله والأوثان فهي تابعة وليس لها أيّ ملكية مستقلة.

(١) مجمع البيان: ٢١٢/٨، تفسير الآية المذكورة.

الفقرة الثالثة:

(مالهم فيهما من شرك)، الشرك كما بُيِّن سابقاً هو بمعنى النصيب والحصّة، فهذه الفقرة تنفي أن يكون للأوثان نصيب أو حصّة في السماوات والأرض، ومنها نستفيد أنّ هؤلاء المشركين كانوا يعتقدون بأنّ للأوثان نصيباً وسهماً وحصّةً في السماء والأرض.

الفقرة الرابعة:

(ماله منهم من ظهير) بمعنى ليس لله سبحانه وتعالى من الأوثان من معين ومساعد على خلق السماوات والأرض، ولا على شيء من الأشياء. إنّ المساعدة والعون إنّما تصدق في مورد تكون فيه قدرة المعين والمساعد غير قدرة وقوة المستعين.

فمثلاً الحمل الثقيل الذي لا أستطيع حمله ويُعينني عليه آخر نستطيع أن نحمله كلانا بقوّتنا كليتهما، فهاتان القوتان في عرض واحد، وإلاّ لو كانت قدرة الأوّل في طول قدرة الثاني ومستمدّة منه ففي هذه الحالة لا تصدق المساعدة والعون في هذا المورد، فمن نفي المعين نستفيد أنّ المشركين كانوا يعتقدون بأنّ الأوثان مستقلّة عن الله تعالى، وأنّها مُعينة لله تعالى في تسيير الأمور، وهذا هو الاعتقاد بتساوي الأوثان لله تعالى وأنّها عدل له وكفؤ له وأنّها في عرضه.

الآيات (٤٠) و (٤١) من سورة فاطر والآيات (٤ - ٦) من سورة الأحقاف تُفيد هذا المعنى أيضاً.

الدليل العاشر: الاستقلال في التأثير:

الاستدلال العاشر لإثبات أنّ المشركين كانوا يعتقدون بالأوثان أنّها عدل لله تعالى وفي عرضه ولها استقلال تام عن الله تعالى في تأثيرها نفعاً وضراً: الآية الكريمة:

مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ^(١).

يفهم من هذه الآية أنّ المشركين كانوا يعتقدون بتأثير غير الله نفعاً وضراً؛ بحيث يستطيع هذا الغير أن يُمْسِكَ النعمة والرزق، ويستطيع أن يُعْطِيَ النعمة والرزق.

فهم كانوا يعتقدون بقدرة الأوثان على إيصال الضرر والمنفعة إليهم. فهكذا اعتقاد - أنّ هذه الأوثان لها تأثير بمستوى إيصال الضرر والمنفعة - معناه أنّها عدل لله تعالى وكفو له، وأنّها في عرض الله تعالى.

لذا حصر الله تعالى في هذه الآية فتح باب الرحمة وإمساكها به، وردّ هذه العقيدة الباطلة لهؤلاء.

الدليل الحادي عشر: الدعوة الى التوحيد:

الاستدلال الآخر الذي يُستدلّ به على أنّ الوثنيين كانوا يعتقدون

(١) فاطر: ٢.

بالأوثان بأنّها عدل لله وكفو له، الآيات القرآنية التي تدعو إلى التوحيد.
فلنتمعن في هذه الآية الشريفة: {إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
يَسْتَكْبِرُونَ} {وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارْكُوا إِلَهَتَنَا لَشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ} ^(١).

وجه الاستدلال:

إنّهم عندما كانوا يُدعون إلى التوحيد والإقرار بالإلهية لله وحده كانوا يستكبرون ويرفضون بشدة أن يتركوا آلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله، ونستفيد من ذلك أنّ آلهتهم التي كانوا يعبدونها هي عدل لله وكفو حسب اعتقادهم؛ لأنّ السبب الحقيقي لعدم ترك الآلهة والإصرار على بقائها يتجسّد في هذه الحالة، وأمّا إذا كانوا يعتقدون بالتبعية والطولية في علاقة الأوثان مع الله تعالى وأنّها غير مستقلة تستمد قدرتها منه تعالى، فلا يصدق لفظ الترك والانصراف عن الأوثان في هذه الحالة أبداً؛ لأنّه على القول بالتبعية والطولية وعدم الاستقلال لا يلزم أن يترك الوثنيون آلهتهم وينشوا عنها، وإنّما آلهتهم سوف تقع في طول العلاقة مع الله تعالى، وأنّها تستمد قدرتها منه، وليس لها أيّ تعارض مع الله الواحد المتفرّد الأحد.

(١) الصافات: ٣٥ - ٣٦.

الدليل الثاني عشر: دعوة النبي ﷺ إلى التوحيد:

الاستدلال الآخر على أن الوثنيين كانوا يعتقدون بأن أوثانهم عدل لله وكفؤ له وأنها مستقلة عن الله تعالى: هذه الآية الشريفة: أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَبٌ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ^(١).

توضيح:

جاء في تفسير مجمع البيان في بيان معنى هذه الآية - كما مرّ مفصلاً - في تبين عقائد المشركين الباطلة - أن أشراف قريش جاءوا إلى أبي طالب وعتبوا على النبي ﷺ لتوهينه أصنامهم وأوثانهم، وشكوه ﷺ بذلك إلى عمّه أبي طالب وطلبوا منه أن يقول له: أن يترك آلهتهم وأوثانهم.

كان جواب النبي ﷺ: «قولوا كلمة لا إله إلا الله تملكوا بها العرب والعجم»، قاموا من عنده ﷺ وقالوا: جعل الآلهة إلهاً واحداً. هنا ملاحظة دقيقة جداً، وهي: أن تعجب هؤلاء من دعوة النبي ﷺ دعاهم إلى أن يتركوا الاعتقاد بتعدد الآلهة.

ومن الواضح أن تعدد الآلهة يصحّ فيما لو كانت هذه الآلهة هي عدل لله وكفؤ له وأنها مستقلة عنه؛ لأنّه لو لم تكن عقيدتهم هذه وإنما

والأهواء يملكون عبداً مشتركين فيه وهو مضطرب غير مستقيم الحال لا يستطيع أن يأتي بشيء ولا يُنتفع به، وذلك لأن كل مالك يأمره بأمر غير الأمر الذي يأمره به المالك الآخر في نفس اللحظة، وإذا به يواجه أكثر من أمر في نفس الوقت، وعنده سوف يقع في حيرة، فهو لا يدري أيّ الأمور الموجهة إليه يؤديها، ففي الوقت الذي يريد أن ينجز أحد الأوامر الموجهة إليه من أحدهم يوجه الآخر له أمراً آخر يريد منه إنجازه في نفس الوقت، وعليه يتبين حجم المشكلة التي يواجهها هذا العبد.

أما العبد الذي يملكه مولى واحد، ويسمع لأوامر مولى واحد، ويتحرك وفق أوامر مولى واحد فإن أعماله سوف تكون منظّمة ومرتبّة. فهل أنّ هذين العبدین بمرتبة واحدة في تأدية العمل والتنظيم والترتيب؟ أبداً لا.

إنّ الله تبارك وتعالى يريد أن يُبين في هذا المثال أنّ المخلوقات لو اتّبع آلهة متعددة، وكلّ إله يُسير ويدير مخلوقاته وفق ذوقه فالنتيجة سوف تؤدي الى وقوع المخلوقات في الضياع والحيرة، ولا يستقيم عمل في هذا العالم. ومن وجود النظام والترتيب في هذا العالم يتبين أنّ المخلوقات لها إله واحد. وواضح جداً أنّ هذا المثال يصحّ فيما لو كان لكل واحد من الشركاء ملكية واستقلالية كاملة في اتّخاذ القرار، وعند ذلك سوف يقع هذا المملوك في ورطة ومشاكل.

لكن لو كان هناك أكثر من مولى يوجههم مولى واحد في سلسلة طولية فلا اضطراب يقع فيه العبد عندئذ، بل كل واحد من الأمرين سوف يكون حاملاً للأمر الموجه إليه من قبل الأمر الذي فوقه، حتى نصل الى الأمر الذي

الأوثان في القرآن

بيده القرار. فالكلّ يعمل تحت أوامر قائد واحد وحاكم واحد، وعنده تنتفي الحيرة والاضطراب عند العبد، وعليه نقول: إنّ الحيرة والاضطراب في عمل العبد متوقفة على استقلالية الشركاء في ملكية العبد وتوجيهه. ونستطيع أن نفهم من هذا المثال جيداً أنّ الأوثان يمكن أن تكون عدلاً لله وكفوّاً له فيما لو كانت مستقلة عن الله، ولها تدبير مستقل عن الآلهة الأخرى في هذا العالم، وعليه سوف يسود العالم في هذه الحالة الاضطراب والفوضى. أمّا لو جاءت الأوثان بالمرتبة التالية لله الواحد وتحمل أوامره في سلسلة طويلة من المراتب ففي هذه الحالة يكون القائد والرئيس الموجّه واحداً، وعليه سوف لا يكون هناك حيرة واضطراب في عمل العبد. لقد وضّح تعالى في هذا المثال قصة المشركين والموحدين، فصور الوثنيين والمشركين كما في حالة المملوك الأول، وصور المؤمنين والموحدين كما في حالة المملوك الثاني. ومن المؤكّد يمكن أن نقول: إنّ هذا المثال جاء لتوضيح دليل التمانع الذي مرّ في الاستدلال الرابع.

الدليل الخامس عشر: الاشتمزاز من الوجدانية:

الاستدلال الآخر لإثبات أنّ الوثنيين كانوا يعتقدون بأنّ الأوثان عدل لله وكفوّاً له: اشتمزاز الوثنيين من الوجدانية. ولأجل توضيح ذلك نستفيد من بعض الآيات التي تناولت ذم عقائد المشركين، وواحدة من هذه العقائد المذمومة لهم، أنّهم كانوا يشمأزون من الدعوة إلى وحدانية الله تعالى بشكل كبير جداً.

الاستدلال الآخر لإثبات أنَّ الوثنيين كانوا يعتقدون بأنَّ الأوثان عدل
للّهِ وكفؤ له وأنها مستقلّة عنه: سورة التوحيد:
جَآبِبِ بِبِ بٍ پ پ پ ث ذ ذ ش ج^(١). هذه السورة شعار
أهل التوحيد، فهي تُعرّف الله بأَنَّهُ الواحد الأحد، وتصفه بالغنيِّ وتنفي
عنه الذرّيَّة والولد وأن يكون له عدل وكفؤ.

(كفؤ): بمعنى النظير والعدل، فلو قيل: إنَّ زيدا كفؤ لعمر في العلم
فمعناه أنَّ زيدا وعمرًا متساويان في العلم والمعرفة، أو أنّ هذين البطلين
متكافئان؛ فمعناه أنَّ ليهما نفس القدرة والقوة.

وما يعنينا هو: أنَّ نفي (الكفؤ) دليل على أنَّ المشركين كانوا
يعتقدون بأنَّ الأوثان عدل لله وفي عرضه ونظيره له.

ومن هذا الجانب نفى الله تعالى أن يكون له كفؤ. وهي كما في
(ليس كمثله شيء). وحسب الاعتقاد بالعلاقة الطولية والتبعية بين
الأوثان والله تعالى سوف لا تكون الأوثان كفوءاً لله وعدلاً له، ولا يوجد
حجة لنفي (الكفؤ) عن نفسه تعالى.

إنّما يصحُّ ذلك في حال أن نعتقد بأنَّ الأوثان نظير لله وعدل له^(٢).

(١) الإخلاص: ١ - ٤.

(٢) لسان العرب: ج ١٥ ص ١٧٧.

فالمقصود سوف يكون هكذا: هل أتخذ الأوثان - التي هي غير الله تعالى - مولىً لي ومالكاً. ومنه يفهم أنّ الوثنيين كانوا يعتقدون بملكية هذه الأوثان، والملكية كما ذكرنا سابقاً تدلّ على الاستقلالية للأوثان وأنها عدل لله تعالى.

الدليل الثامن عشر: إطلاق كلمة (الرب):

الاستدلال الآخر لإثبات أنّ المشركين كانوا يعتقدون بأنّ الأوثان عدل لله وكفو له: إطلاق كلمة «الرب» على هذه الأوثان. توجد آيات متعددة في هذا الصدد، لكننا نكتفي بذكر آية واحدة فقط.

چپر رر نا نا نه نه ئوئوچ^(١). وجه الاستدلال: أنّ معنى كلمة «الرب» هو المدبّر، ولفظ «المدبّر» و«الربوبية» لها ظهور في معنى الاستقلال، بمعنى أنّ الأوثان نظير الله ولها تدبير مستقل. إلى هنا أقمنا ثمانية عشر دليلاً على أنّ الوثنيين كانوا يعتقدون بأنّ الأوثان في عرض الله وعدل له ومستقلة عنه. وسوف نشرع بتحليل ونقد الأقوال التي يُستدلّ بها على أنّ المشركين كانوا يعتقدون بأنّ الأوثان في طول الله، وأنها تابعة له، وأنّهم لا يعتقدون باستقلالها.

(١) الأنعام: ١٦٤.

(۱) یونس: ۱۸.

الأوثان في القرآن

للأصنام حقيقة، والشفاعة لأربابها، وربما نُسبت إليها^(١).
ودلالة كلامه على الطولية واضحة.

المراد من شفاعة الأوثان:

ماهو المراد من شفاعة الأوثان؟ هل المقصود منها الشفاعة في الدنيا
أم في الآخرة؟

هناك رأيان مختلفان في تحديد المعنى المراد.

يميل صاحب تفسير مجمع البيان^(٢) وصاحب تفسير الكشاف^(٣) الى
أن المراد هو الشفاعة الأخروية، لكن يذهب صاحب تفسير الميزان الى
أن المراد هو الشفاعة الدنيوية، يعني أن مراد الوثنيين هو أن تكون
الأوثان أو أربابها وسيلة؛ لكي ينزل الله عليهم الخيرات، ويحل مشاكلهم
الدنيوية، ويدفع عنهم الشرور.

الدليل على هذا الرأي هو: أن المشركين كانوا ينكرون المعاد
أساساً، فمن هنا كان طلب الشفاعة من الأوثان في الآخرة ليس له مورد،
وإنما المراد هو الشفاعة الدنيوية.

سوف يأتي لاحقاً البحث التفصيلي في المسألة، وكاتب هذه

(١) الميزان في تفسير القرآن: ٣٠/١٠، ذيل الآية.

(٢) مجمع البيان: ١٦٨/٥، ذيل الآية ١٨ من سورة يونس.

(٣) الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل: ١٨٥/٢، ذيل الآية ١٨ من سورة يونس.

السطور يعتقد أيضاً أنّ المشركين كانوا لا يؤمنون بالمعاد، وهذه المسألة تحتاج الى مزيد من التوضيح.

الطريق الثاني إعتقاد المشركين بعدم استقلال الأوثان:

الطريق الآخر لبيان الاستدلال^(١) لفظة «الشفيع» و«الشفاعة» التي تبين أنّ الأوثان في عقيدة الوثنيين كانت علاقتها طويلة مع الله لا عرضية. ولتوضيح الاستدلال نقول: إنّ الوثنيين عندما يعتقدون أنّ أوثانهم تستطيع أن تحلّ مشاكلهم مستعينة بالله تعالى فإنّ هذا إقرار واعتراف منهم بأنّ الأوثان لا حول ولا قوة لها.

وكانوا يقولون: إنّ أرباب الأوثان تستطيع أن تطلب من الله لكي تحلّ المشاكل، ولو كان لها حول وقوة لكانت تحل المشاكل بنفسها دون الاستعانة بالله تعالى، وكما كان هناك حاجة للوساطة والطلب من الله، فلو كان الوثني يعتقد بتأثير الوثن لكان يذهب الى الوثن بشكل مباشر أن يُدّلّ له الصعاب ويحلّ مشاكله، ولا يحتاج لأن يجعل الوثن واسطة في البين.

كان الوثنيون يقولون عن الأوثان: (هؤلاء شفعاؤنا عند الله)، وهذا بنفسه دليل على أنّ الوثنيين كانوا لا يعتقدون بأنّ الأوثان تؤثر بشكل مستقلّ عن الله تعالى، وإنّما كانوا يعتقدون بأنّها مقهورة لقدرة الله تعالى،

(١) هذا التقريب والبيان من قبل الكاتب.

الأوثان في القرآن

وتقع تحت سلطانه وهيمنته، وهذا هو معنى الطولية في العلاقة بين الله تعالى القادر والأوثان التي تستمد قدرتها منه. وهذا المعنى يكمن في الشفاعة، فطالب الشفاعة لديه حاجة ومشكلة، والشفيع لا يستطيع أن يحلّ مشكلته ويقضيها له، لكن يستطيع الشفيع أن يتوسّط لدى مَنْ لديه القدرة على قضاء الحاجات وحلّ المشاكل بما يتمتع به من المكانة والعزّة والاحترام^(١).

دليلان لإثبات الاعتقاد بالطولية عند المشركين:

الأوّل: قال صاحب تفسير مجمع البيان: (توهّموا أنّ عبادة الأوثان أشدّ في تعظيم الله سبحانه وتعالى من قصده تعالى بالعبادة، لذا فعبادة الله تعالى عن طريق عبادة الأوثان تتمّ بشكل أفضل ممّا لو قصدناه بالعبادة بشكل مباشر)^(٢).

الثاني: لو أخذنا بنظر الاعتبار الآيات القرآنية الأخرى التي تُصرّح بأنّ الوثنيين كانوا يعتقدون بأنّ الله خلق الأوثان كلّها وهي غير مستقلة عنه تعالى، بل كانوا يعتقدون بأنّ الله خلق السماوات والأرض وما بينهما. وممّا لاشكّ فيه أنّ أيّ قدرة على التأثير نفعاً أو ضرراً يمتلكها الوثن

(١) يوجد مثيل للآية أعلاه، وهو الآية (٣) و(٤) من سورة الزمر، والآية (٨٥) و(٨٩) من سورة الزخرف، والآية (٢٣) من سورة يس.

(٢) مجمع البيان: ١٦٨/٥، تفسير الآيات ١٨ - ٢٠ من سورة يونس.

إنّما هي امتداد لقدرة الله تعالى؛ وذلك لأنّ الوثن أحد المخلوقات الإلهية وآثاره أيضاً من مخلوقات الله تعالى كان ولا بدّ أن يكون المقصود من (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) أنّ الأوثان تشفع بإذن الله؛ لأنّها لا تملك بذاتها حولاً ولا قوة، ومن هنا جاء الذمّ من قبل الله تعالى للوثنيين هو: أنّه لم يصدر منّا مثل هكذا إذن وتفويض للأوثان.

نقد رأي صاحب تفسير الميزان:

وللإجابة على الرأي الذي جاء في تفسير الميزان نقول:
أولاً: لم يُقدّم صاحب تفسير الميزان أيّ دليل من القرآن لإثبات صحة رأيه، وإنّما اكتفى بالسرد التاريخي، ولا يمكننا أن نستند على النقل التاريخي لوحده؛ لأنه ليس بحجّة.
ثانياً: ما ذكره لا يتناسب ولا ينسجم مع مطالب في مواضع أخرى من تفسير الميزان لها علاقة بالموضوع، كما جاء في الآية (٦٨ - ٨٦) من سورة المائدة.

فقال: (القول بأنّ للعالم صانعاً ثم القول بأنّه واحد من أقدم المسائل الدائرة بين المفكرين، تهدي إليه الفطرة المركوزة فيهم، حتى أنّ الوثنية المبنية على الشرك إذا أمعنّا في حقيقة معناها وجدناها مبنية على أساس توحيد الصانع وإثبات شفعاء عنده {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} وإن انحرفت فيما بعد عن مجراها وآل أمرها الى إعطاء

الأوثان في القرآن

الاستقلال والأصالة للآلهة دون الله {^(١)}.

نستفيد عدة مطالب من هذا الكلام:

أولاً: أنّ التوحيد أمر فطري، ومقتضى فطرة كل إنسان التوحيد، والكلّ وفق الفطرة الإلهية موحدون. وسوف يأتي توضيح هذا المعنى المهمّ في بيان المباحث اللاحقة.

ثانياً: أنّ الوثنيين كانوا يعتقدون في البداية بتبعية الأوثان وعدم استقلالها، ولكن بالتدريج انتقلوا الى الاعتقاد باستقلالها، وعدم تبعيتها لقدرة الله تعالى.

إنّنا لا نؤيد القسم الأوّل من عقيدتهم، وهي أنّهم كانوا يقولون بالطولية وعدم الاستقلال، إلّا أنّ القسم الثاني من عقيدتهم - وهي: أنّهم انتهوا بالتدريج إلى الاستقلال والعرضية - يدلّ على أنّ صاحب الميزان يوافقنا على أنّ الوثنيين انتهوا إلى القول بأنّ قدرة الأوثان في عرض قدرة الله وأنّها كفؤ الله وعدل له. وهذه النكتة تستحقّ العناية وتنسجم مع بحث العرضية في القدرة الذي نحن بصددده.

والتقريب الأوّل الذي نُقل عن صاحب تفسير الميزان لبيان القول بطولية قدرة الأوثان مع قدرة الله لا تنسجم مع المطالب التي ذكرها في ذيل تفسير الآية (٣٦) و (٤٩) من سورة هود.

(١) الميزان في تفسير القرآن: ج ٦ ص ١٠٩، المطبعة الإسلامية.

وقد ذكر في ذيل تفسير الآيات المذكورة من سورة هود ما يلي:
 رَبِّمَا يُظَنُّ أَنَّ ما ورد في الأدعية من الاستشفاع بالنبي ﷺ وآله
 المعصومين - صلوات الله عليهم - ومسألته تعالى بحقهم، وزيارة قبورهم
 وتقبيلها، والتبرك بتربتهم وتعظيم آثارهم من الشرك المنهي عنه، وهو
 الشرك الوثني، محتجاً بأن هذا النوع من التوجه العبادي فيه إعطاء تأثير
 ربوبي لغيره تعالى وهو شرك. وأصحاب الأوثان إنما أشركوا لقولهم في
 أوثانهم: إِنَّ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ. وقولهم: إِنَّمَا نَعْبُدُهُمْ لِيَقَرَّبُونَا إِلَى اللَّهِ
 زُلْفَى. ولا فرق في عبادة غير الله سبحانه بين أن يكون ذلك الغير نبياً، أو
 ولياً أو جباراً من الجبابرة أو غيرهم، فالجميع من الشرك المنهي عنه.

وقد فاتهم أولاً: أَنَّ ثبوت التأثير سواء كان مادياً أو غير مادي في
 غيره تعالى فهو ضروري لا سبيل إلى إنكاره، وقد أسند تعالى في كلامه
 التأثير بجميع أنواعه إلى غيره، ونفي التأثير عن غيره تعالى مطلقاً يستلزم
 إبطال قانون العلوية والمعلولية العام الذي هو الركن في جميع أدلة
 التوحيد، وفيه هدم بنيان التوحيد.

نعم، المنفي من التأثير عن غيره هو الاستقلال عن التأثير، ولا كلام
 لأحد فيه. وأما نفي مطلق التأثير ففيه إنكار بداهة العقل، والخروج عن
 الفطرة الإنسانية.

ومن يشفع بأهل الشفاعة الذين ذكرهم الله مثل قوله: جُؤْفِي ي ي پ پ ر

الأوثان في القرآن

ر ن ا ن ا ن م ن م ن و (٢) و قوله: ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج (٣)، أو يسأل الله بجاههم ويقسم عليه بحقهم الذي جعله لهم بمثل قوله مطلقاً: ج ع ع ع ك ك ك ك ك و و و و و (٤)، وقوله: ج ث ث ث ث ث (٥)، أو يعظمهم ويُظهر حبهم بزيارة قبورهم وتقيلها والتبرك بتربتهم بما أنهم آيات الله وشعائره: تمسكاً بمثل قوله تعالى: ج ث ث ث ث ث ث ث ث ث ث (٦)، وآية القربى وغير ذلك من كتاب وسنة.

فهو في جميع ذلك يبتغي بهم إلى الله الوسيلة، وقد قال تعالى: ج ع ع ك ك ك و (٧) فشرع به ابتغاء الوسيلة، وجعلهم بما شرع من حبهم وتعزيرهم وتعظيمهم وسائل إليه، ولا معنى لإيجاب حب شيء وتعظيمه وتحريم آثار ذلك فلا مانع من التقرب إلى الله بحبهم وتعظيم أمرهم، وما لذلك من الآثار إذا كان على وجه التوسل والاستشفاع من غير أن يعطوا استقلال التأثير والعبادة البتة.

(٢) الزخرف: ٨٦.

(٣) الأنبياء: ٢٨.

(٤) الصافات: ١٧١ - ١٧٣.

(٥) غافر: ٥١.

(٦) الحج: ٣٢.

(٧) المائدة: ٣٥.

وثانياً: أنه فاتهم الفرق بين أن يعبد غير الله رجاء أن يشفع عند الله أو يُقَرَّب إلى الله، وبين أن يعبد الله وحده مع الاستشفاع والتقرب بهم إليه ففي الصورة الأولى إعطاء الاستقلال وإخلاص العبادة لغيره تعالى، وهو الشرك في العبودية والعبادة، وفي الصورة الثانية يتمخض الاستقلال لله تعالى وتختصَّ العبادة به وحده لا شريك له.

وإنما ذمَّ تعالى المشركين لقولهم: (إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زُلْفى)، حيث أعطوهم الاستقلال وقصدوهم بالعبادة دون الله سبحانه، ولو قالوا: إنما نعبد الله وحده ونرجو مع ذلك أن يشفع لنا ملائكته أو رسله وأولياؤه بإذنه، أو نتوسَّل إلى الله بتعظيم شعائره وحبِّ أوليائه كما كفروا بذلك، بل عادت شركاؤهم كمثِّل الكعبة في الإسلام هي وجهة وليست بمعبودة، وإنما يعبد الله بالتوجَّه إليها.

وليت شعري ماذا يقول هؤلاء في الحجر الأسود وما شرَّع في الإسلام من استلامه وتقبيله، و كذا في الكعبة؟ فهل ذلك كلُّه من الشرك المستثنى من حكم الحرمة؟ فالحكم حكم ضروري عقلي لا يقبل تخصيصاً ولا استثناءً. أو أنَّ ذلك من عبادة الله محضاً وللحجر حكم الطريق والجهة وحينئذ فما الفرق بينه وبين غيره إذا لم يكن تعظيمه على وجه إعطاء الاستقلال وتمحيض العبادة، ومطلقات تعظيم شعائر الله، وتعزيز النبي ﷺ وحبِّه ومودَّته، وحبِّ أهل بيته ومودَّتْهم، وغير

خلاصة كلام صاحب تفسير الميزان:

يمكننا أن نؤلف بين الكلام المتضادّ الوارد عن صاحب الميزان فنحمل ماورد عنه من: أنّ الوثنيين كانوا يعتقدون بتبعية قدرة الأوثان لقدرة الله تعالى، على المرحلة الأولى من عبادتهم للأوثان. بمعنى أنّ الوثنيين كانوا في البدء يعتقدون بأنّ خالق العالم واحد والأوثان موجودات مقدسة تقوم بدور الوسيط بين الخالق وعباده. ونحمل ماورد عنه من: أنّ الوثنيين كانوا يعتقدون باستقلالية الأوثان، وأنّ قدرتها في عرض قدرة الله تعالى، على المرحلة التالية من عبادتهم للأوثان. بمعنى أنّهم انحرفوا عن الاعتقاد الأوّل - وهو القول بالطولية - وانتهوا أخيراً الى الاعتقاد الثاني، وهو القول بالعرضية والاستقلالية. وعليه فإنّ الآيات القرآنية التي جاء فيها لفظ «الشفيع» بالنسبة للأوثان كما في (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) ناظرة إلى عقائد الوثنيين في بداياتها الأولى. والآيات التي يظهر فيها أنّ الأوثان مستقلة عن الله تعالى ناظرة إلى ما انتهت إليه عقيدتهم في هذه الأوثان. فهذا القول وهو وضع الحدّ الفاصل لتطور عقيدة الوثنيين من القول بالطولية وعدم الاستقلال في المرحلة الأولى الى القول بالعرضية

(٨) الميزان في تفسير القرآن: ١٠/ ٣٠٥، الآيات: ٣٦ - ٤٩ من سورة هود.

والاستقلال في المرحلة الثانية - مجرد نقل تاريخي لا يوجد عليه دليل من القرآن، ويمكن أن يقال في مجال توضيح المسألة: إنَّ الإنسان لديه عقل ووهم.

فعندما كان الوثنيون ينظرون إلى الأمور بعقولهم كانوا يعترفون أنَّ خالق العالم ومدبره إله واحد، كما جاء في آيات عديدة يقول فيها تعالى: إذا سألت الوثنيين: مَنْ خلق السماوات والأرض؟ ليقولنَّ: الله. ووفقاً لهذه الرؤية فإنَّهم لو كانوا يعبدون وثناً إنَّما كانوا يعبدونه بعنوان أنَّه واسطة بينهم وبين الله، وأنَّه يشفع لهم.

وأما عندما تُهيمن عليهم أوهامهم والتقاليد العمياء للآباء وأمثالها من الأوهام التي تحجب الفطرة الإنسانية وتلوّثها، فإنَّهم يردّون إلى وادي الظلام، وهو وادي الأوهام والخيال، فعنده يتصورون وجود آخرين غير الله تعالى في هذا العالم، فيعبدون الأوثان بعنوان أنَّها آلهة تؤثر بشكل مستقل وبعنوان أنَّها شفيع.

نقد الرأي الثاني (عدم استقلال الأوثان في نظر المشركين):

لأجل أن نردّ على هذا الرأي الذي اعتمد لفظ «الشفيع» و«الشفاعة» في إثبات معنى الطولية، ولا بأس أن نوضّح أولاً معنى الشفيع. فملخص آراء أهل اللغة والفقهاء في باب الشفعة كما يلي: قال البعض: الشفع بمعنى الزوج، وهو مقابل الوتر، والشافع هو الشخص الذي يطلب الحاجات لشخص آخر. وقال آخرون: الأصل في معنى الشفعة والشفيع والشفاعة: المساعدة

الأوثان في القرآن

والعون، وقد لوحظ هذا المعنى في مورد الزوجية، حيث إنّ ضمّ الفردين أحدهما إلى الآخر يؤدي إلى القوة والقدرة^(٩).

فلو لوحظ في أصل المعنى المساعدة والعون يصبح معنى الآية ما يلي: أنّ هذه الأوثان أنصارنا عند الله، وسوف تساعدنا وتعيننا، فلو واجهتنا مشكلة فسيكون حلّها بيدهم.

وعليه فإنّ الآية بهذا المعنى سوف لا تدلّ على معنى الطولية، وإنّما تدلّ على معنى العرضية واستقلال الأوثان.

ولو أخذ المعنى الإضافي بنظر الاعتبار - وهو أن تطلب الأوثان حلّ مشاكلنا عند الله تعالى - لأمكن أن نقرب المعنى في هذه الحالة إلى القول بالطولية وعدم الاستقلال.

وسوف يكون الجواب هكذا: لم يُلاحظ أبداً في معنى «الشفيع» و«الشفاعة» معنى عدم الاستقلال في الشافع، وإنّما يتضمّن معنى الزوجية صرفاً، مثلما لاحظنا أنّ معنى «الشفع» في اللغة هو الزوج، في مقابل «الوتر» فكذلك الشافع والشفيع معناهما الشخص الذي صار واسطة

(٩) ولمزيد من الإيضاح راجع المصادر التالية: العين ج ١ ص ٢٦١، وصحاح اللغة ج ٣ ص ١٢٣٨، ولسان العرب ج ٨ ص ١٨٤، وشرح الأزهري ج ١ ص ٤، وتذكرة العلامة ج ١ ص ٥٨٨، وجامع المقاصد ج ٦ ص ٣٤٢، والتحفة السنية ص ٢٣٦، وجواهر الكلام ج ٣٧ ص ٢٣٨، وكشاف القناع ج ٤ ص ١٦٤، وجواهر العقود ج ١ ص ١٨٥.

الأوثان في القرآن

أن الوثنيين يعتقدون بأن الأوثان شفعاء ووسائل تقرب لله تعالى^(١١). وقد وضّحنا في مجال أخذ النتيجة من هاتين المجموعتين من الآيات أن هذا الظهور في الطولية لا يدلّ على أن الشفاعة تلازم القول بالطولية، بل يمكن أن تلازم العرضية أيضاً.

بمعنى أننا نقول: في نفس الوقت الذي كانوا يعتقدون باستقلال الأوثان وأنها في عرض الله كانوا يعتقدون أيضاً بأنها تستطيع أن تكون شفيعة عند الله.

ولأجل أن يتوضّح المطلب أكثر نتناول ما جاء في تفسير الميزان تحت عنوان (كلام في معنى التوحيد في القرآن)^(١٢).

لا يرتاب الباحث المتعمّق في المعارف الكلية بأن مسألة التوحيد من أبعد المسائل غوراً، وأصعبها تصوّراً وإدراكاً، وأعضلها حلاً؛ لارتفاع كعبها عن المسائل العامة الشاملة التي تتناولها الأفهام، والقضايا المتداولة التي تألفها النفوس، وتعرفها القلوب. وما هذا شأنه تختلف العقول في إدراكه والتصديق به؛ للتنوع الفكري الذي فطر عليه الإنسان من اختلاف أفراده من جهة البنية الجسمية، وأداء ذلك إلى اختلاف أعضاء الإدراك في أعمالها، ثم تأثير ذلك في الفهم والتعلّل من حيث

(١١) الميزان في تفسير القرآن: ج ١ ص ١٦٧، ذيل الآية.

(١٢) المصدر السابق: ج ٦ ص ٩٠، ذيل الآيات: ٦٨ - ٨٦ من سورة المائدة.

الجِدَّة والبلادة، والجودة والرداءة، والاستقامة والانحراف.

فهذا كَلَّه ممَّا لاشكَّ فيه، وقد أقرَّ القرآن هذا الاختلاف في موارد
من آياته الكريمة، كقوله تعالى: **جَنُودٌ لَّهُمْ نَارٌ مِّنْ نَّارِ اللَّهِ يَبَدِّلُ اللَّهُ رِيشَهُمْ كُلَّ يَوْمٍ** **فِي**
يَوْمٍ (١٣).

ومن أظهر مصاديق هذا الاختلاف هو اختلاف أفهام الناس في تلقّي
معنى توحيده تعالى؛ لما في أفهامهم من الاختلاف العظيم والتغيّر الواسع
في تقرير مسألة وجوده تعالى، على ما بينهم من الاتفاق فيما تعطيه
الفطرة الإنسانية في إلهامها الخفي وإشاراتها الدقيقة.

فقد بلغ انحدار درجة فهم آحاد من الناس في ذلك أن جعل الأوثان
المصطنعة والأصنام المصنوعة من الخشب والحجارة وحتى من الأقط
والطينة المعمولة من أبوال الإبل شركاء لله، وقرناء له، يُعبد كما تعبد
هؤلاء، ويسأل كما تسأل هؤلاء، ويخضع له كما يخضع لها، ولم يلبث
هذا الإنسان دون أن غلبت هذه الأصنام عليه تعالى بزعمه، وأقبل عليها
تركه، وأمرها على حوائجه وعزله.

فهذا الإنسان غاية ما يراه من الوجود له تعالى هو مثل ما يراه لآلهته
التي خلقها بيده، أو خلقها إنسان مثله بيده، ولذلك كانوا يثبتون له تعالى
من صفة الوحدة مثل ما يصفون به كل واحد من أصنامهم، وهي
الوحدة العددية التي تتألف منها الأعداد، قال تعالى: **جُثَّةٌ مِّنْ مَّثَلٍ** **فَقَدْ**

والقرآن ينفي في معالي تعاليمه الوحدة العددية عن الإله جلّ ذكره، فإنّ هذه الوحدة لا تتمّ إلّا بتميّز هذا الواحد عن ذلك الواحد بالمحدودية التي تقهره، والمقدورية التي تغلبه، ومثال ذلك: ماء الحوض إذا فرقناه في آنية كثيرة كان ماء كلّ إناء ماءً واحداً غير الماء الواحد الذي في الإناء الآخر، وإنّما صار ماءً واحداً يتميّز عمّا في الآخر، لكون ما في الآخر مسلوباً عنه غير مجتمع معه، وكذلك الإنسان إنّما صار إنساناً واحداً لأنّه

(١٧) العنكبوت: ٤٦.

الأوثان في القرآن

الأنواع الكثيرة الحاصلة منه ومن الفرس والبقر والغنم وغيرها، فإنه مقهور بالحد الذي يحدّه به ما يناظره من الأنواع الأخر، وإذا كان تعالى لا يقهره شيء في شيء البتة من ذاته ولا صفته ولا فعله وهو القاهر فوق كل شيء فليس بمحدود في شيء يرجع إليه، فهو موجود لا يشوبه عدم، وحق لا يعرضه بطلان، وهو الحي لا يخالطه موت، والعليم لا يدب إليه جهل، والقادر لا يغلبه عجز، والمالك والملك من غير أن يملك منه شيء، والعزيز الذي لا ذلّ له، وهكذا.

وأما في الروايات فقد بين الإمام علي عليه السلام التوحيد في أدقّ معانيه في الخطبة الأولى من نهج البلاغة، وقد نفى عليه السلام عن ساحة القدس الإلهي الوحدة التي تُفهم من معنى الكثرة العددية^(١).

والنكتة الملفتة للنظر في كلام صاحب تفسير الميزان هي: أنه بين بشكل واضح جداً أنّ عقيدة الوثنيين في الأوثان كانت في عرض الله ونظيراً له تعالى، وأنهم كانوا يعتقدون باستقلالها، بل أكثر من هذا وذاك أنهم تركوا الله جانباً وتوجّهوا للأوثان، وأنهم كانوا يعتقدون بأنّ تدبير أمور العالم يعود إليها، لا إلى الله تعالى! ولا شك في صحة هذا القول لصاحب تفسير الميزان في بيان عقائد الوثنيين في الأوثان.

(١) الميزان في تفسير القرآن: ج ٦ ص ٩٠، ذيل الآيات ٦٨ - ٨٨ من سورة المائدة.

وأما القول الذي مرّ سابقاً واستدلّ عليه من خلال النقل التاريخي بأنّ الوثنيين كانوا في البداية يعتقدون بأنّ قدرة الأوثان في طول قدرة الله تعالى وذهبوا الى العرضية فيما بعد فإنّ هذا القول غير صحيح.

خلاصة القول:

إذا لاحظنا العبارات السابقة رأينا أنّ الوثنيين وهم يطلبون الشفاعة من الأوثان يعتقدون بأنّها مستقلة في قدرتها، فأيّ مشكلة كانت تحدث لهم إمّا أن تحلّها الأوثان، وإمّا أن تطلب الأوثان من الله حلّ المشكلة. سواء قلنا بأنّ الله خاضع للأوثان ولا بدّ أن يقبل شفاعتها، أو قلنا: كلاهما شريكان في التأثير وإن لم يكن تأثير الأوثان بحجم تأثير الله تعالى، وإنّما أقلّ منه، ولكن القول بهذا المقدار القليل من التأثير هو اعتقاد بالاستقلال. إنّ الاستدلال لا يتوقّف على أن تكون قدرة الأوثان مثل القدرة الإلهية ونظيرة لها، بل إنّما مجرد القول بتأثير الأوثان بدون إذن الله تعالى وإن كان هذا التأثير قليلاً فهو قول بالاستقلال.

وعليه يُمكن الجمع بين الاستقلال والشفاعة نظير شخصين أحدهما طبيب والآخر مدير لمدرسة ما، فالأول هو الطبيب يعالج المشاكل الصحية لابن مدير المدرسة، والثاني هو مدير المدرسة يحلّ المشاكل التربوية لابن الطبيب. وكلاهما في مرتبة واحدة وأحدهما نظير للآخر وفي عرض واحد وهكذا هي الوسائط الإنسانية فيما بين أبناء المجتمع، فهي عرضية وليست طويلة، ووساطة الأوثان بالنسبة الى الله تعالى هي كذلك.

رأي آية الله الزنجاني^(١):

قال آية الله السيد عزّ الدين الزنجاني في مجال بيان الشرك وعقيدة المشركين في الأوثان: (الشرك على قسمين:
١ - الشرك الاستقلالي حيث جعلوا فيه الأوثان في عرض الله.
٢ - الشرك الطولي.

وعقيدة المشركين من النوع الثاني، بالتأكيد هناك فئة من الزمر المنحرفة كانت تعتقد بالنوع الأول).

نستطيع أن نشير إلى المجوس منهم الذين يعتقدون بـ (يزدان) إله الخير و(أهريمن) إله الشرّ. ومنهم النصارى الذين يعتقدون (بالأفانيم الثلاثة) وهي (روح القدس) و(المسيح) و(الله).
أمّا المشركون الذين واجهوا الأنبياء وتحصّنوا ضدّهم وكانوا يُسمّون بالمشركين فهم يعتقدون بأنّ قدرة الأوثان في طول قدرة الله تعالى، لا في عرض قدرته.

(١) السيد عزّ الدين الزنجاني، أحد تلامذة السيّد العلامة محمد حسين الطباطبائي صاحب تفسير الميزان، متخصص في الفلسفة والعرفان، وصاحب مؤلفات كثيرة، منها: «معيّار الشرك في القرآن»: وهي مجموعة من المباحث أجاب بها عن سؤال لشخص منحرف العقيدة، في مجال الاستشفاء والتوسل بالأئمة^٨، يسكن السيد الزنجاني حالياً في مدينة مشهد المقدسة.

كان الوثنيون يعتقدون بأنّ صانع العالم شخص واحد، ولم يُشركوا معه أحداً من الخلق، إنّما المشكلة في عقيدة هؤلاء كانت تكمن في أنّهم جعلوا الله شريكاً في الإلهية؛ وذلك من خلال جعل الأوثان واسطة بينهم وبين الله تعالى. وقالوا: إنّ لها موقعاً متميّزاً وتقديراً واحتراماً خاصاً عند الله.

الاعتقاد بالطولية (التبعية) على قسمين:

القسم الأوّل: له دليل قائم على البرهان.

القسم الثاني: ليس له دليل.

وبعبارة أخرى قسم مأذون له في الشفاعة عند الله، وقسم غير مأذون

له من قبل الله تعالى.

ففي الحالة الأولى - وهي المأذونية - أجاز الله تعالى لعباده أن يذهبوا الى تلك الوسائط ويطلبوا حوائجهم منهم، وأمّا في الحالة الثانية (عدم المأذونية) فهي على خلاف الحالة الأولى، حيث إنّ الله تعالى لم يُعْطِ مثل هذا الامتياز والرخصة لأحد؛ لأنّه ربّما كانوا قد ذهبوا الى هذا الاعتقاد عن طريق التقليد الأعمى لأبائهم وأسلافهم.

فإنّ الإشكال الذي يواجه عقيدة المشركين هذه: أنّها كانت من القسم غير المأذون فيه، فهم وإن كانوا يعتقدون بأنّ قدرة الوثن على الشفاعة في طول قدرة الله تعالى، وهو مجرد واسطة بين المخلوق وبين الله، فهذا الاعتقاد لا يوجد عليه أي دليل أو برهان، ولهذا ذمّ الله تبارك وتعالى هذا الاعتقاد،

وهذه الآية تعبر عن هذه المسألة: چچ → چ → چ → چ → چ^(۲).

مفتاح الحديث في هذه الآيات هو أنّ الله تعالى يقول لهم فيها:
 إِنَّكُمْ تَأْخُذُونَ بِعَقِيدَةٍ لَيْسَ لَكُمْ عَلَيْهَا بَرَهَانٌ وَلَا دَلِيلٌ، وَلَمْ يَأْذَنْ اللَّهُ
 لَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا تِلْكَ الْأَوْثَانَ وَسَائِطَ فِي الشَّفَاعَةِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ.
 وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ الْوَثْنِيِّينَ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ بَطُولِيَّةَ الْقُدْرَةِ بَيْنَ الْأَوْثَانِ
 وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنَّ مُشْرِكِي الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ بِخَالْقٍ
 وَاحِدٍ، وَهَذِهِ الْآيَةُ تَدُلُّ بوضوح على هذه المسألة.

فهذه الآيات دليل على أنَّ المشركين كانوا يعتقدون بشفاعة الأوثان، وأنَّ قدرتها ليست مستقلة عن قدرة الله تعالى.

والإدانة والذمّ والاحتجاج الموجه من قِبَل الله تعالى للوثنيين ضد

(٤) العنكبوت: ٦١ - ٦٣.

هذه العقيدة هي من باب أن الله تعالى لم ينزل بها من سلطان، وأنها من مخترعاتهم التي ليس لهم عليها دليل وبرهان.

والفرق بين ما يعتقد به الوثنيون وبين ما يعتقد به الشيعة - من شفاعة النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام - هو: أن عقيدة الشيعة في شفاعة النبي ﷺ والأئمة مأذون فيها، ويوجد عليها دليل، في حين أن عقيدة الوثنيين غير مأذون بها، ولا يوجد عليها دليل.

وبما أن عقيدة الشيعة قائمة على الدليل والبرهان فلا مانع منها ولا ضير فيها، وهي مثل ما يفعل المسلمون مع الحجر الأسود من التبرك والتوسل به والدعاء والبكاء عنده والتسليم عليه، ولا يوجد إشكال على ذلك كله؛ لوجود الدليل والبرهان عليه.

إن تصرفات الوثنيين مع الأوثان التي كانوا يعبدونها أيضاً أحياناً لم تكن من باب أنهم كانوا يعتقدون بها آلهة والأوثان نظيرة لله، بل إنما كانت من باب أنهم اعتقدوا بها وسائط، كما توضّح ذلك الآية الكريمة: **يَجْعَلُونَ أَثَرَهُمْ ثُرُثُوكَ كَمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ** (٥).

ومناسكهم من تقديم القرابين وغيرها كذلك للتقرب إلى الأوثان من باب كونها وسائط (٦).

(٥) الزمر: ٣.

(٦) معيار الشرك في القرآن: ٣٣ - ٤١.

تحليل كلام آية الله الزنجاني ونقده بشكل عام:

لا يخفى أنّ رأيه يختلف تماماً عن رأي أستاذه العلامة الطباطبائي + بدرجة مائة وثمانين.

ولتوضيح هذه المسألة: لقد مرّ علينا رأي العلامة الطباطبائي في البحوث السابقة، حيث إنه كان يعتقد بأنّ عقيدة الوثنيين كانت في البداية عدم استقلالية الأوثان عن الخالق تعالى، وإنّما انتهوا بالتدرّج إلى القول باستقلال الأوثان عن الله تعالى، وأنّها نظيرة له، وقدرتها في عرض قدرته تعالى، وأخيراً انتهوا إلى ما هو أعظم من ذلك، حيث تركوا الله تعالى وتوجّهوا للأوثان تماماً، واعتقدوا بقدرّة الأوثان وهيمنتها على قدرة الله، ورأوا أنّ الأوثان آلهة، وعدّوا الله واحداً بالعدد.

ومن الملاحظ أنّ السيّد الزنجاني لم يستقص آيات الشرك بشكل كامل، واعتمد في رأيه على الآية: (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) وأمثالها.

ونحن تعرضنا مسبقاً ببحث مفصّل للآيات التي دلّت على الاستقلال، وجنّنا بثمانية عشر دليلاً لإثبات أنّهم كانوا يعتقدون باستقلال الأوثان، ولمزيد من الاطلاع ندعوا القراء الأعزّاء مراجعة ذلك.

وهذا الذي قيل: إنّ اعتقاد المشركين بالطولية ليس معناه الإذن لها بالشفاعة، فإنّ هذا القول لوحده لا يحلّ المشكلة، وإنّما نحتاج إلى بحث واسع، مضى بعضه وسوف يأتي الباقي لاحقاً.

ما يقوله السيّد الزنجاني من أنّ المشركين يعتقدون بالصانع الواحد

فنحن أيضاً نعتقد بذلك - وقد بينّا ذلك في العقائد المقبولة من

المشركين - ولكنّ هذا الاعتراف منهم لا يدلّ على القول بالطولية والتبعية، وإنّما ينسجم أيضاً مع القول بالعرضية والاستقلال، وقد وضّحنا ذلك عند مناقشتنا لرأي السيد العلامة الطباطبائي بشكل مفصّل وواضح. وما نعتقدّه نحن هو أنّ عقيدة الوثنيين خلال المسار التاريخي لها من البداية حتى النهاية كانت قائمة على استقلال الأوثان، وأنّ قدرتها في عرض قدرة الله تعالى، ولقد توضّح ذلك جيداً من بحث الأدلة السابقة. فليس صحيحاً ما يعتقد به السيد الزنجاني الذي كان يميل إلى القول بالطولية مطلقاً، ولا ما اختاره صاحب تفسير الميزان، الذي كان يميل إلى القول بالطولية ابتداءً والانتهاً إلى العرضية لاحقاً. وسوف نوافيكم - بإذن الله لاحقاً - بالجواب على استدلال السيد الزنجاني بالآية التي أطلقت على الأوثان شفعاء. سنثبت بالأدلة والشواهد أنّ الآية التي اعتمد عليها السيد الزنجاني دليل إضافي على أنّ عقيدة الوثنيين في الأوثان هي بأنّها مستقلة، وقدرتها في عرض قدرة الله تعالى.

الردّ على كلام السيد الزنجاني بشكل مفصّل:

الشفاعة المأذون فيها طولية، أيّ أنّها تقع في طول إرادة الله تعالى لها، وأما الشفاعة غير المأذون فيها فهي استقلالية، وهي التي تقع بدون إذن الله تعالى.

الأوثان في القرآن

ففي آيات متعدّدة من القرآن الكريم لم تقبل الشفاعة، ورفضت، وفي آيات أخرى سُمح بها وقُبِلت.

وبشكل مجمل لا بدّ أن نعرف أنّ الآيات التي لم تقبل الشفاعة ورفضتها ترتبط بشفاعة الشفيع الذي يُريد أن يكون مستقلاً في شفاعته، ويشفع بإرادة مستقلة.

أمّا الشفاعة التي لا يمتلك فيها الشفيع إرادة مستقلة، وإنّما إرادته في طول إرادة الله تعالى وبإذنه فلا إشكال في مثل هكذا شفاعة.

ولأجل أن نوضّح الموضوع أكثر نتعرض لبعض الآيات في الباب:

الآية الأولى:

چ چ چ چ چ چ چ (٧).

الآية الثانية:

چ ك ك ك ك و و و و و و و (٨).

الآية الثالثة:

چ آ ب ب ب ب ب ب ب (٩).

(٧) الأنبياء: ٢٨.

(٨) طه: ١٠٩.

(٩) سبأ: ٢٣.

الآية الرابعة:

چۆلۈۋۇۋۇۋچ (١٠).

وهناك آيات أخرى تدلّ على نفس المعنى وردت في القرآن الكريم، ومحصل المعنى فيها: أنّها تدلّ على أنّ هناك نوعين من الشفاعة: أحدهما مسموح به، والآخر غير مسموح به.

وبعبارة أخرى هناك شفاعة لها وجود في الواقع الخارجي، وهي عين الشفاعة التي وقعت بإذن الله تعالى، وأخرى ليس لها وجود خارجي، وهي التي لم يأذن بها الله.

ورأينا هو: أنّ المشركين يعتقدون بالشفاعة التي بإرادة مستقلة عن الإذن الإلهي، وهذا النوع من الشفاعة من وجهة نظر الآيات القرآنية مرفوض وغير مقبول، وهكذا الشفاعة غير موجودة أصلاً من وجهة النظر الإلهية.

ويستفاد من آيات القرآن: أنّ عقيدة المشركين كانت مبنية على الشفاعة التي تتمّ بشكل مستقلّ وبدون إذن الله تعالى، وبالمقابل أنّ الله تبارك وتعالى أدان مثل هكذا شفاعة ولم يرضَ بها.

ويستفاد من الآيات التي تؤيّد الشفاعة التي تقع بإذن الله تعالى ورضاه، أنّها تشكّل جبهة مضادة مقابلة لعقيدة الشفاعة المستقلة عن الله تعالى.

فلو كان المشركون يعتقدون بالشفاعة التي تقع بإذن الله كما كان

هناك سبب لردّ عقيدتهم كما جاء في بعض آيات القرآن؛ لأنّ عقيدتهم بالشفاعة في هذه الحالة تنسجم مع عقيدة الموحّدين.

معنى الشفاعة «بإذن الله»:

إنّ عبارة «بإذن الله» جاءت بتعابير متعددة في القرآن الكريم، فمثلاً في بعض الآيات جاءت بمعنى الرضا، كما في الآية (إلاّ لمن ارتضى)، فترى الملاك في قبول الشفاعة هو رضا الله تعالى. ورأي صاحب تفسير «الميزان» في الألفاظ المختلفة التي ترادفت على المعنى الواحد لكل منها معنى إضافي خاص باللفظ، بمعنى آخر: لم يكن هذا الاختلاف في اللفظ أمراً اعتبارياً وإن كان المعنى الذي ترادفت عليه الألفاظ واحداً. أما رأي صاحب تفسير «مجمع البيان» أنّها تؤدّي إلى مفاد واحد.

رأينا في الموضوع كذلك: أنّها جميعاً ذات دلالة واحدة ومعنى واحد، والمهمّ أن يتوضّح لنا معنى الشفاعة (بإذن الله).

فرضا الله تبارك وتعالى بشفاعة الشافعين وإمضائها وقبولها مشروطة بأن لا يكون في مراد الشفيع نوع من الاستقلال عن مراد الله تبارك وتعالى، وإنّما مراد الشفيع لا بدّ أن يكون نفس مراد الله تعالى قال

الحسين عليه السلام: «رضى الله رضانا أهل البيت»^(١١).

وفي الحقيقة أنّ رضا الله تعالى قد تجلّى في شفاعته الشفيع وبعبارة أخرى رضا الشفيع هو مجرى لرضا الله تعالى ورضا الله تعالى يتحقق من خلال شفاعته الشافعين، ولا يوجد بين رضا الله تعالى وشفاعته الشافعين نوع من الاثنينية، ولا يوجد محوران لا تتخاذ القرار الذي يؤدي أحياناً إلى التضاد.

بل إنّ رضا الشافعين يقع في طول رضا الله تعالى من ناحية تربيبية، ولا يوجد بينهما تضاد، وهذا هو معنى الطولية.

فرضا الله تعالى محبوب لدى الشافعين بشكل يقع اختيارهم على ما يختاره الله عز وجل ويرضى به، ومن هذه الناحية فوّض إليهم النظر في أعمال العباد.

فواحدة من طرق الرحمة الإلهية هي الوصول إلى عباده المكرمين، فهؤلاء الشفعاء الذين تمخّضت إرادتهم بالإرادة الإلهية في الشفاعه، فهم مقربون من الله كثيراً لعبوديتهم وإخلاصهم.

وكلّ من يتصل بهم ويرتبط بهم - عباد الله المخلصين - يحصل على المراتب العالية من القرب الإلهي.

فالأئمة عليهم السلام هم مظهر لأعلى مراتب الرحمة الإلهية.

جاء في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام يوضح فيها الآية الكريمة: **چچ**

(١١) بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٣٦٧.

﴿ج ج ج﴾^(١٢) قال: «نحن والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلا بمعرفتنا»^(١٣).

وفي بيان هذا الحديث يقول آية الله العالم العارف السيد بهاء الديني &:

(الاسم ما يدل على المعنى، فمثلاً زيد يشار به الى هذا الوجود الخارجي، والأئمة عليهم السلام أيضاً يشار بهم إلى صفات الله تعالى، كل من يتمن في الحلم والعلم والقدرة والصفات الأخرى للأئمة عليهم السلام ينتهي إلى معاني معدن هذه الصفات، وهو الله تعالى.

فبالتمن والنظر في علم علي بن أبي طالب نصل إلى أن هذا العلم ليس علماً اكتسابياً، بل له أصل، وهو الله تعالى، ومن القدرة والإعجاز الذي يتمتع به عليه السلام نصل إلى أصله وهو الله تعالى، وهكذا باقي الصفات الجمالية دليل مرشد إلى الله تعالى)^(١٤).

فكل من يرتبط بإمام معصوم يصل الى بحر الفضائل والكمال. هنا يمكن أن نُمثل لذلك بالمثل التالي: نفترض أن لدينا بحراً يتصل به منهل، ويتصل بالمنهل نهر، فالجميع متصل ببعضهم وله حكم واحد.

(١٢) الأعراف: ١٨٠.

(١٣) تفسير نور الثقلين: ج ٢ ص ١٠٣، ذيل الآية نقلاً عن أصول الكافي.

(١٤) محاضرات في الأخلاق لآية الله السيد بهاء الديني، كان يحضرها المؤلف.

فنحن نتصل بمنهل النبي والأئمة عليه السلام والنبي عليه السلام، والأئمة عليه السلام يتصلون بالبحر المطلق الذي ليس له نهاية، ونحن متصلون بالمنهل، نكون متصلين بالبحر المطلق، ولا يوجد فاصل بين هؤلاء الثلاثة، فالجميع واحد. فكل من يتصل بالإمام الحسين عليه السلام فهو متصل بالنبي عليه السلام، وكل من يتصل بالنبي عليه السلام اتصل بالله تعالى؛ لأن رضا هؤلاء واحد، فالأنبياء والأئمة عليه السلام سلسلة من المراتب الوجودية.

أما عقيدة الوثنيين في الشفاعة فلم تكن كذلك، إنما كانوا يعتقدون بأن الأوثان مستقلة عن الخالق، وتتمتع بطريقة مستقلة عن الله تعالى، وهي التي تقوم بتأدية الأمور بنفسها.

ولو وجدت الحاجة في أمر ما إلى الله تعالى يطلبون من الله تعالى أن يقضي لهم هذه الحاجة، ويحلّ لهم هذه المشكلة، حتى ولو كان ذلك عن طريق الفرض والإجبار لله تعالى على حلّ المشكلة.

وهذا كما لو مثلنا له في الطبيب والمعلم في حياتنا الاجتماعية، فكلاهما محتاجان للآخر، وبما أنّ أحدهما يحتاج للآخر ويحلّ له ما يعترضه من مشاكل - وإن كان ذلك بدون رغبة قلبية منه وفوق إرادته لأنّه محتاج له على كل حال في مسيرة حياته - فعليه يُنجز له ما يُريده منه. إنّ منطق الجهل هو السائد المهيمن على الوثنيين، ولأجل أن نتعرّف على هذا المنطق الذي يعيش الوثنيون في ظلّه ننقل لكم بعض الأمور المهمة فيما له علاقة بهذا الموضوع من تفسير «الميزان» لكي يتبيّن لنا مدى سطحية هذه العقائد والأفكار، وكم هي بعيدة عن الحقيقة والواقع، حيث نزلوا الله بمنزلة الأوثان في التعامل والأخذ والعطاء.

يقول صاحب تفسير «الميزان»: «الملك والسلطان الدنيوي بأنواعه وأقسامه، وبجميع شؤونه وقواه المقننة الحاكمة والمجرية مبتنية على حوائج الحياة، وغايتها رفع الحاجة حسب ما تساعد عليه العوالم الزمانية والمكانية، فربما بدل متاع من متاع، أو نفع من نفع، أو حكم من حكم من غير ميزان كلي يضبط الحكم، ويجري ذلك في باب المجازاة أيضاً، فإنّ الجرم والجناية عندهم يستتبعان العقاب، وربما بدل الحاكم العقاب لغرض يستدعي منه ذلك كأن يلحّ المحكوم الذي يجري عقابه على القاضي ويسترحمه أو يرتشيه، فينحرف في قضائه أي يقضي فيه بخلاف الحقّ، أو يبعث المجرم شفيحاً يتوسط بينه وبين الحاكم أو مجري الحكم أو يعطي عدلاً وبدلاً إذا كانت حاجة الحاكم المريد للعقاب إليه أزيد وأكثر من الحاجة إلى عقاب ذلك المجرم، أو يستنصر قومه فينصروه فيتخلص بذلك عن تبعة العقاب، ونحو ذلك.

تلك سنة جارية وعادة دائرة بينهم، وكانت الملل القديمة من الوثنيين وغيرهم تعتقد بأنّ الحياة الآخرة نوع حياة دنيوية يطرّد فيها قانون الأسباب، ويحكم فيها ناموس التأثير والتأثر المادي الطبيعي، فيقدّمون الى آلهتهم أنواع القرابين والهدايا للصفح عن جرائمهم، أو الإمداد في حوائجهم، أو يستشفعون بها، أو يقدون بشيء عن جريمة، أو يستنصرون بنفس أو سلاح، حتى أنّهم كانوا يدفنون مع الأموات أنواع الزخرف والزينة، ومن أنواع السلاح ما يدافعون به عن أنفسهم ليكون معهم ما يتمتعون به في آخرتهم وربما ألدوا معه من الجواري من يستأنس بها، ومن الأبطال من يستنصر به الميت... وقد أبطل القرآن جميع

الأوثان في القرآن

بأن الأوثان تؤثر بشكل مستقل في الشفاعة.

القرينة الأولى:

ليس معنى الشفاعة في الآية الوسطة، إنما معناها المساعدة والعون، كما أن المعنى الأصلي للكلمة هو هذا - لقد مرّ في البحوث السابقة ذلك في بحث معنى كلمة الشفاعة - فعليه أطلق في البداية كلمة الشفعاء على الأوثان، ثم قال: (الله الشفاعة).

فلا شك أن معنى الشفاعة في الجملة الثانية ليس معناه الوسطة، ولا تريد الآية أن تبين أن جميع الوسائط مختصة بالله، فمن الواضح أن الله تعالى غير محتاج لأن يكون وسيطاً، وأنه لا يتوسط عنده أحد، وإنما المراد من (الله الشفاعة) جميعاً أن القدرة على المساعدة والعون مرجعها إلى الله تعالى، ولا حول ولا قوة لأحد من دون الله عز وجل.

فهذه قرينة على أن المقصود من (الشفعاء) في جملة (أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ) هو الإعانة والمساعدة.

ويمكن أن تطرح الآية بهذا الشكل: لقد اتخذتم الأوثان معيناً لكم وناصراً، وفي الحقيقة أن الحول والقوة جميعها لله تعالى، إن ما تطلبونه من العون والمساعدة من هذه الأوثان مرجعه إلى الله تعالى.

وبإطلاق كلمة «الشفعاء» على الأوثان تدلّ هذه القرينة بوضوح على أن مراد الوثنيين من الشفاعة هو أن الأوثان تستطيع أن تعينهم وتنصرهم، وهذه القدرة تتمتع بها الأوثان بشكل مستقل.

كان الوثنيون يقولون: إن الأوثان تشفع لنا، أي تعيننا على حلّ

مشاكلنا، فلو مرض أحد أبنائنا فالأوثان تشفيه من مرضه، وهكذا أي مشكلة أخرى نواجهها تحلها الأوثان لنا، وبما أن الله تعالى مَيَّز في الآية بين شفاعَة الأوثان وشفاعته نعرف أن شفاعَة الأوثان التي كان يعتقد بها الوثنيون شفاعَة استقلالية؛ لوجود المنافاة في هذه الحالة بين شفاعَة الأوثان وشفاعَة الله، وهذا ما دعا إلى التمييز بين الشفاعتين.

أما لو كانت شفاعَة الأوثان شفاعَة غير مستقلة وأنها مستمدة من قدرة الله تعالى فلا يوجد بينها وبين شفاعَة الله أي تناف يدعو لتمييزها عنه، بل كلاهما ينتهيان إلى مصدر واحد، وشفاعَة الأوثان سوف تكون نفس شفاعَة الله تعالى.

ولا يحتاج عندها أن ينفي تعالى شفاعَة الأوثان، ويحصر الشفاعَة به عز وجل، فنحن الشيعة الذين نعتقد بأن الأئمة عليهم السلام يعينوننا. معناه: أن هذا العون في طول العون الإلهي، ولا يوجد بينه وبين العون الإلهي أي تناف.

وجود المنافاة إنما يكون فيما لو كانت هناك عرضية واستقلال بين المدد والعون الإلهي والمدد والعون الذي نطلب من الأئمة عليهم السلام.

إنّ هذا يدلّ على أنّ هؤلاء اعتقدوا باستقلالية الأوثان في شفاعتها، وأنها مستقلة في قدرتها، وأنها في عرض الله تعالى.

والخلاصة نقول: لو كانت الشفاعَة التي يعتقد بها هؤلاء الوثنيون طويلة لما كان هناك حاجة لنفي شفاعَة الأوثان وحصر الشفاعَة بالله وحده؛ وذلك لأنّ كليهما في حالة الطولية سوف تكون من سنخ واحد؛ وأما في الحالة العرضية الاستقلالية فلا سُنْخية بينهما، بل هما متباينان تماماً.

الأوثان في القرآن

القرينة الثانية:

لو كان الوثنيون يعتقدون بأنّ الأوثان تشفع في طول شفاعته الله لما كان هناك مبرر يدعو إلى نفي الله تعالى الملكية عن الأوثان، ويقول: (لا يملكون شيئاً)، أي أنّ الأوثان لا تملك شيئاً؛ لأنّ انتفاء الملكية عنها في هذا الفرض كان واضحاً من دون حاجة الى نفيها بقوله تعالى: (لا يملكون شيئاً).

فجملة (لا يملكون شيئاً) تدلّ على أنّ الوثنيين كانوا يعتقدون بنوع من الملكية المستقلة للأوثان أمام الله تعالى، ومن هنا كانت هناك حاجة لكي ينفي سبحانه تعالى هذه الملكية عن الأوثان، ويثبت ويحصر ملكية السماوات والأرض به وحده تعالى، ومن مجموع النفي والإثبات يتوضح أنّ عقيدة الوثنيين في شفاعته الأوثان لها ملكية مستقلة أمام الله تعالى.

القرينة الثالثة:

جاء في الآية (٤٤) من سورة الزمر وهي استمرار للآية (٤٣):

﴿يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عِبَادَتِهِ ۚ وَكُلٌّ فِي أَفْئَادِهِ﴾ (١٨)

تبيّن هذه الآية أنّ مكانة الأوثان لدى الوثنيين أكثر أهميّة من مكانة الله تعالى، وهذا ما يدعوهم الى الاشمئزاز والنفرة عندما يُذكر الله تعالى

وحده، بينما يستبشرون ويفرحون عندما تُذكر أوثانهم، وهذا ما يدل على أنّ عقيدة هؤلاء في الأوثان أنّها كانت عدلاً لله تعالى ونظيره، ومستقلة عنه، وأنّ شفاعتها مستقلة أيضاً، فبناءً على اعتقادهم بطولية قدرة الأوثان على الشفاعة مع قدرة الله لا منافاة بين وجود الأوثان ووجود الله تعالى؛ لكي يشمأزوا ويتنفّروا من ذكر الله تعالى ويستبشروا ويفرحوا بذكر أوثانهم؛ لأنّ في حالة الاعتقاد بالطولية جميع ما تملكه الأوثان هو من عند الله تعالى، ولا توجد منافاة أبداً بين الاعتقاد طولياً وبين الوحدة الإلهية، لكي تدعو إلى استبشارهم وفرحهم، وإنما عين الوحدة والتوحيد الإلهي، وكذلك شفاعدة الأوثان بناءً على القول بالطولية أنّها عين الشفاعة الإلهية، لا يوجد بينهما فارق وتمييز لكي يدعو أحدهما للاشمئزاز والنفرة، والآخر إلى الاستبشار والفرح.

فلو كانت العقيدة طولية فهي كعقيدة الشيعة الإمامية في أئمتهم عليهم السلام، فكما أنّ ذكر الأئمة عليهم السلام لا يؤدي إلى النفرة والاشمئزاز من ذكر الله تعالى، بل هو عين ذكر الله تعالى كذلك يكون ذكر الأوثان عن الوثنيين عين ذكر الله تعالى كما جاء في الحديث: «إن ذكرنا من ذكر الله»^(١٩).

إنّ النفرة والاشمئزاز يأتيان من التعدّد في الرؤية والاثنية والتمييز.

(١٩) الكافي ج ٢ ص ١٨٦ ح ١، باب تذاكر الإخوان.

الأوثان في القرآن

القرينة الأولى:

عبارة «من دون» وقد بيناها سابقاً.

القرينة الثانية:

إطلاق لفظ «الآلهة» على الأوثان، والآلهة ظاهرة في معنى الاستقلال، وقد مرّ توضيح ذلك أيضاً في بحث استقلال الأوثان.

القرينة الثالثة:

(لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً)

في هذه الجملة نفى النبي ﷺ إمكانية أن تشفع الأوثان وتعين وهذا يدل على أن عقيدة الوثنيين كانت مبنية على أن الأوثان تستطيع أن تعين في حل المشاكل، وهي تنسجم مع القول بالعرضية والاستقلال؛ لأنه بناءً على القول بالطولية والتبعية لا مبرر لنفي شفاعاة الأوثان؛ لأنها سوف تكون عين الشفاعاة الإلهية، ولو كان حقاً أن الوثنيين يعتقدون بالشفاعة الطولية والتأثير الناتج عن القدرة الإلهية كما كان هناك مبرر لأن يقول لهم النبي ﷺ: (إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلَا يُنْقِذُونِ)؛ لأنه بناءً على القول بالطولية والتبعية يصبح الضرر الذي يأتي من الأصنام عين الضرر الذي يأتي من الله تعالى، كما أن النفع الذي يأتي من الأوثان هو عين النفع الذي يأتي من الله تعالى. فمن مجموع هذه الآيات يستفاد أن شفاعاة الأوثان من وجهة نظر واعتقاد المشركين كانت شفاعاة استقلالية عرضية، لا شفاعاة طولية تابعة

للشفاعة الإلهية.

فالتنتيجة: إنّ رأي السيّد الزنجاني هو: أنّ شفاعة الأوثان في عقيدة الوثنيين شفاعة طويلة غير صحيح.

نقد لقسم آخر من كلام آية الله الزنجاني:

ادّعى السيّد أنّ المشركين لم يكونوا يعتقدون باستقلالية الأوثان، بل كانوا يعتقدون بتبعيةها وامتداد قدرتها للقدرة الإلهية. علماً بأنّ الطولية والتبعية على نوعين: الأول: المأذون. والثاني: غير المأذون.

فهؤلاء كانوا يعتقدون بالطولية والتبعية غير المأذون فيها، ونحن نريد هنا أن نثبت عدم صحة هذا التقسيم، وأنّ القول بالطولية والتبعية هو الإذن والسماح.

فلا يمكن أن تكون هناك طولية وتبعية، ويكون عدم إذن وترخيص، فهذا الكلام باطل وغير صحيح، وذلك لأنّ الإذن عبارة عن الإذن التكويني، لا الإذن التشريعي، ومعنى الإذن التكويني أن يكون الشفيع والواسطه في سلسلة الأسباب والعلل.

فلو قلنا: إنّ النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام قد أذن لهم أن يشفوا المرضى ويقضوا الحوائج فمعناه أنّهم في سلسلة العلل والأسباب لربط العباد بالله تعالى.

فرطوبة الماء كانت بإذن الله تعالى وهو الذي أذن للماء أن يكون رطباً، ولو لم يكن الماء رطباً لقلنا: إنّ الله تعالى لم يأذن له أن يكون رطباً، لكن حينما يكون رطباً نقول: أذن له أن يكون رطباً، فلا معنى لأن يقال: إنّ الرطوبة تقسم إلى قسمين: إحداهما: مأذونة، والأخرى غير

الأوثان في القرآن

مأذونة؛ لأنه إذا كان رطباً كان نفس معنى الإذن ولو لم يكن رطباً لم يأذن له.

فبمجرد الرطوبة كان الإذن، وبعدم الرطوبة كان عدم الأذن، فلا مجال لأن نقول هناك قسمان من الإذن. والآثار الموجودة للوثن أو لأي واسطة هي كذلك، فلو كان لها تأثير من قبل الله تعالى كان مأذوناً لها في ذلك، ولو لم يكن لها تأثير تكويني فمعناه عدم الإذن.

والخلاصة: إن البحث بحث وجودي، وليس بحثاً جعلياً تشريعياً اعتبارياً. فمعنى الإذن للإمام هو: أن الله تعالى قد أعطى للإمام مكانة ومرتبة وجودية بحيث جعل كل من يتصل بهم من عباده قد اتصل به تعالى. وبعبارة أدق: جعل كل من يتقرب إليهم فهو قد تقرب إلى الله سبحانه شئنا أم أبينا، فالمسألة هي كذلك، أي أنها ثابتة في عالم التكوين.

فلو كان الوثن غير مأذون له فمعناه من ناحية تكوينية لم يأذن له الله أن يكون في دائرة الأسباب والعلل، فالأوثان من الأساس ليس لها مكانة في سلسلة الطولية، لا أن نقول: إنها في سلسلة العلل الطولية ولكن لم يأذن لها الله، فهنا فرق بين أن يقال: ليس لها مكانة في سلسلة العلل الطولية، وبين أن يقال: إنها في سلسلة العلل الطولية ولكن لم يأذن لها، فهذا الكلام غير صحيح.

ونتيجة كلامنا هي: أن الأوثان لو كانت في سلسلة العلل الطولية لكان يلزم منه ثبوت الإذن ذاتاً، وهذا نظير ثبوت الزوجية للعدد أربعة، فحيث كان العدد أربعة كان زوجاً، وكما لا يمكن التفكيك بين الأربعة

والزوجية كذلك لا يمكن التفكيك بين الإذن والطولية في سلسلة العلل؛ لأنّ الإذن معناه صار في سلسلة العلل والأسباب، ومؤثراً في عالم الوجود؛ لأنّ الله أعطاه مثل هكذا وجود ومكانة في التأثير. ولو لم يجعله الله تعالى في سلسلة العلل والأسباب لما كان في الأصل في سلسلة العلل الطولية، وهذا هو معنى عدم الإذن، وعليه نصل إلى النتيجة التالية: أنّ التقسيم إلى الإذن وعدم الإذن لم يكن صحيحاً.

الدفاع عن كلام الزنجاني وجوابه:

يمكن أن يُدافع السيد عن رأيه بالقول: نحن عندما نقول: إنّ قدرة الأوثان على الشفاعة في طول القدرة الإلهية - أي أن تكون في سلسلة الأسباب والعلل ويمكن لها بما تملكه من الله من مرتبة وجودية أن تنفع وتضر - نقصد بذلك وجهة نظر الوثنيين في الموضوع، ونقصد بعدم الإذن أنّ الله تبارك وتعالى قد كذّب أن يكون للأوثان مثل هكذا تأثير، وأن تكون في سلسلة العلل والأسباب، وقال عزّ وجلّ: إنّ هذه العقيدة ليس لها دليل ولا برهان، أي أنّ الله تعالى لم يجعل الأوثان في سلسلة العلل والأسباب، وعليه يكون لدينا القدرة الطولية التي لم يأذن لها تعالى. والجواب:

إنّ مثل هكذا اعتقاد لا يتنافى مع التوحيد من ناحية ثبوتية، أي لو اعتقد شخص ما بوجود كائن بين الله وبين عباده ينفع ويضرّ بإرادة

الأوثان في القرآن

وإذن إلهي فلا يتنافى ذلك مع التوحيد؛ لعدم وجود ما ينافي الوحدة الإلهية في البين.

وبالتأكيد لو كان مثل هذا الأمر غير مطابق لعالم الواقع والنبوت فهو مجرد كذب، خلاف الواقع. وهناك فرق بين أن يكون الأمر خلاف الواقع وبين أن يكون خلاف التوحيد.

فلو اعتقد شخص ما بأنّ الماء ليس رطباً فإنّ هذا الأمر مخالف للواقع، وليس مخالفاً للتوحيد.

فصاحب مثل هكذا عقيدة يجب أن يُؤنّخ لعدم قوله الحقيقة، ولكن ليس كلامه خلاف التوحيد أبداً لكي يؤاخذ عليه، إذن فمثل هكذا اعتقاد لا يمكن أن يكون عقيدة للمشرّكين.

لقد تصوّر السيد الزنجاني بمجرد كون أمر ما مخالفاً للواقع ولم يأذن به الله تعالى فهو خلاف التوحيد، والحال ليس الأمر كذلك.

ففي موارد عديدة من القرآن الكريم أدان الله تعالى أهل الكتاب بقولهم الكذب على الله، فمرة يقولون إنّ الله حرّم شحوم الحيوانات أو بعض الحيوانات، في الواقع أنّ الله تعالى لم يحرم ذلك، بل أدان أهل الكتاب على ذلك، ولم يقل إنكم بعملكم هذا أشركتم وخرجتم من الوحداية، وإنّما قال لهم: إنّ هذا كذب محض.

الفصل الثالث

عقيدة الوثنيين في المعاد

لقد بحثنا فيما سبق في مفردتين من عقائد الوثنيين:
الأولى: وهي من عقائدهم المقبولة التي لا غبار عليها: أنَّ الله تعالى خالق الأرض والسماء.

والثانية: وهي من عقائدهم المدمومة القبيحة: أنَّ الله تعالى له ذرية وأولاد وزوجة وصاحبة.

الآن نجيب على السؤال التالي: هل أنَّ الوثنيين كانوا يعتقدون بالمعاد، أو لا؟ أي هل أنَّهم يعتقدون بعالم ما بعد الموت، أو لا؟
للإجابة على السؤال نذكر جوايب العلماء الأفاضل حول هذا الموضوع.

نظريتان في عقيدة الوثنيين في المعاد

الأولى: ما اختاره صاحب تفسير مجمع البيان، حيث قال: إنَّ المشركين كانوا يعتقدون بالمعاد. ففي ذيل الآية: **يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْكَ كَثْرَتُ دِينِكَ وَلَا هُمْ يُغْنَى عَنْكَ** (٢٣)

(٢٣) مجمع البيان: ج ٢ ص ٣٦٢، ذيل، الآية ٢٥٥ آية الكرسي من سورة البقرة.

الأوثان في القرآن

قال الشيخ الطبرسي: إنّ هذه الآية في مقام نفي الشفاعة، بمعنى لا يستطيع أن يشفع أحدٌ لأحدٍ إلاّ بإذن الله، وبما أنّ المشركين كانوا يعتقدون بأنّ للأوثان منزلة الشفاعة يوم القيامة، وأنّها تشفع لهم فجاءت هذه الآية لتردّ عليهم عقيدتهم هذه.

ونفس هذا الموضوع جاء في ذيل الآية: جُذِّدُوا هَٰؤُلَاءِ بِذِكْرِ هَٰؤُلَاءِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١).

قال الطبرسي: وواحدة من المنازل التي كانوا يعتقدون بها للأوثان: منزلة الشفاعة.

ويقول أيضاً صاحب تفسير الكشاف: إنّ المشركين كانوا يعتقدون بالمعاد (٢).

بالمعاد (٢).

الثانية: ما اختاره صاحب تفسير الميزان بقوله: إنّ المشركين لم يكن لهم عقيدة في المعاد. وقد جاء شرح هذا الموضوع بشكل مفصّل في تفسير ذيل الآية: جُذِّدُوا هَٰؤُلَاءِ بِذِكْرِ هَٰؤُلَاءِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٣).

وملخص رأيه: أنّ المشركين ينكرون المعاد، ويرون البعث والمعاد من الأمور المستحيلة، وتوجد آيات تدلّ على ذلك. وهم في إنكارهم

(١) مجمع البيان ج ٥ ص ٩٨، ذيل آية ١٨ من سورة يونس.

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل: ج ٢ ص ٣٣٦، ذيل الآية ١٨ من سورة يونس.

(٣) الميزان في تفسير القرآن: ج ٢٠ ص ١٥٩، ذيل الآية (٣) من سورة النبأ.

للمعاد ينضوون تحت أربع فئات تتفق على أصل إنكار المعاد:

الفئة الأولى:

وهم الذين ينكرون المعاد بشدة، ويرون المعاد من الأمور المستحيلة، كما يُستفاد ذلك من الآية: **يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَٰؤُلَاءِ ۖ هُمْ يَنكُرُونَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا۟ قَالُوا۟ هَٰؤُلَاءِ هُمُ ٱلْمُتَّبِعُونَ ۚ** (١).

تدل هذه الآية على أنَّ المشركين كانوا يرون المعاد أمراً مستحيلاً لا يمكن أن يتحقق.

الفئة الثانية:

هم الذين يستبعدون وجود يوم القيامة، ولأجله كان ينكرون ذلك، ولم يصل إنكارهم الى درجة إنكار الفئة الأولى، ويستدل لعقيدة هؤلاء بهذه الآية: **يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا۟ هَٰؤُلَاءِ ۖ هُمْ يَنكُرُونَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا۟ قَالُوا۟ هَٰؤُلَاءِ هُمُ ٱلْمُتَّبِعُونَ ۚ** (٢).

الآيات واضحة في دلالتها على عدم اعتقاد تلك الفئة بالمعاد.

الفئة الثالثة:

وهم الذين كانوا يشكّون في يوم القيامة والبعث؛ ولأجل ذلك كانوا

(١) سبأ: ٧.

(٢) المؤمنون: ٣٥ - ٣٨.

الأوثان في القرآن

ينكرون، ويُستدلّ على هؤلاء بالآية: ﴿يَجْعَلُ لَهُمُ اللَّهُ مَقَرًّا يَجْعَلُ فِيهَا مَصَرًّا﴾ (١).

فالآية تبيّن أنّ شكّهم في الحياة الأخروية سيتكامل يوم القيامة ليصبح علماً و يقيناً بتلك الحياة الأخروية التي كانوا يشكون فيها.

الفئة الرابعة:

وهم الذين كانوا يؤمنون في قلوبهم بالحياة الأخروية والمعاد، ولكن كانوا من أهل العناد واللجاجة، ولأجله كانوا يُنكرون المعاد، ويستدلّ باعتقادهم في ذلك بهذه الآية: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (٢) وكذلك كانوا يواجهون مسائل التوحيد والنبوة وفروع الدين الأخرى باللجاجة والفساد.

فنحن نتفق مع صاحب تفسير الميزان بأنّ المشركين كانوا ينكرون يوم القيامة، ولكن لا نتفق معه على تقسيمهم إلى فئات، ونرفض استدلاله الذي جاء به، ومن يرغب في الاطلاع أكثر حول الموضوع فليراجع ذلك للمؤلف (٣).

(١) النمل: ٦٦.

(٢) الملك: ٢١.

(٣) خبر مهم تفسير سوره نبأ، للمؤلف باللغة الفارسية.

(۱) فصّلت: ۵۰.

الآية الأولى:

وجه الإستدلال:

الآية الثانية:

(۱) یونس: ۳ - ۴.

(٢) الرعد: ٣٦.

الآيات الواردة بل هذه الآية وما بعدها بدون شك لها علاقة بالمشرّكين، والضمير واو الجماعة في «قالوا» يعود على المشرّكين أيضاً. ويرون البعث خرافة، وعقيدتهم تكمن في إنكار المعاد، وهذه الآية تدلّ بصراحة على أنّ المشرّكين كانوا ينكرون المعاد.

[illegible]

المخاطبون بهذه الآية: المشركون أيضاً، والآية تدلّ على ذلك إن لم يكن صراحة فتلويحاً. والله تعالى ينصّحهم ويدعوهم الى التوحيد والمعاد.

[illegible]

هذه الآية كذلك لو نظرنا الى ما قبلها وما بعدها نراها تدلّ على أنّ المشركين كانوا لا يعتقدون بالمعاد، والآية تحصر الحياة الحقيقية في الحياة الأخروية ويستفاد من قوله تعالى: (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) أنّ المشركين لم يكن لديهم معرفة وعقيدة بهذا الأمر، أي بالمعاد.

(١) القصص: ٨٨.

(۲) العنكبوت: ۶۴.

وجه الاستدلال:

الآية الثامنة:

توضیح:

وكما ذكرنا فإنّ الضمير في «إنّهم» يعود على المشركين، فعليه تكون دلالة الآية: أنّهم لم يكونوا يعتقدون بيوم القيامة، وعدم الاعتقاد

(۳) فصّلت: ۵۲.

فالمقصود من يوم الجمع هو يوم القيامة، فلذا سوف تكون مهمة النبي ﷺ أن ينذر الناس بهذا اليوم ويُخوفهم، ويدعوهم إلى الإيمان به.

[illegible]

الآية الحادية عشرة:

چتی تی ٹج ٹم ٹی ٹی جح جم حج حم خج خخ خم سح

(۱) الشوری: ۷ .

(۲) یس: ۷۸ - ۷۹ .

سح سخ سم صح صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج
عم غج غم فج فح فغ فم في في ڇ^(١).

وجه الاستدلال:

المقصود من «المجرمين» إما أن يكون خصوص المشركين، وإما أن يكون أعم من ذلك بحيث يشمل المشركين وغيرهم، وعلى أي حال فهو يشمل المشركين وهم في مقام بيان السبب الذي جعلهم يدخلون جهنم. وقد صرّحت الآية بأحد هذه الأسباب، وهو عدم الاعتقاد بيوم الدين، أي يوم القيامة.

الآية الثانية عشرة:

ڇي ڀ ڀ ر ر نا نا نه نه نوئو نوئو نوئو نوئو نوئو ڇ^(٢).

وجه الاستدلال:

المقصود من (الَّذِينَ كَفَرُوا) إما أن يكون خصوص المشركين، أو أعم من ذلك، وفي كلا الحالتين سوف يشملهم، والآية واضحة في عدم اعتقادهم بالآخرة ويوم القيامة وإنكارهم لذلك. ويمكن أن يُستأنس بنفس هذا المعنى بمراجعة الآيات (٥١) و(٥٢) من سورة يس، والآية (٧) و(٤٤) من سورة الزمر، والآيات (٥٠ - ٦٠)

(١) المدثر: ٤٠ - ٤٧.

(٢) سبأ: ٧.

الفصل الرابع

طقوس المشرکین

لقد تقدّم في الفصل الأوّل بحث عقائد المشركين تحت عنوان
العقائد المذمومة والعقائد الممدوحة، وفي هذا الفصل سنتناول طقوس
المشركين ومناسكهم التي كانوا يؤدّونها بعنوان شعائر خاصّة بهم.
وقبل أن نرد البحث لابدّ أن نلفت النظر الى نقطة مهمة، وهي: أنّ المشركين
كانوا يؤدّون الشعائر برغبة وثنية، ولو أردنا أن نعرّف شعائر الوثنيين نقول: هي
تلك الشعائر التي كانت تؤدّى بدافع التقرب إلى الأوثان والتودّد إليها.
وتوجد أدلة عديدة على هذا الموضوع، وسيوضح البعض منها
خلال طيّات البحث:

[illegible]

نستفيد من جملة (مَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَكُنْ

(١) الأنعام: ١٦١ - ١٦٤.

الأوثان في القرآن

من المشركين، فالآية تأمر النبي ﷺ أن يُعرّف بخطّة الرسالي وهو الهدى الإبراهيمي الحنيفي التوحيدي، وأن يُعلن لهم أنّ سائر توجّهاته التي هي أعمّ من مناسكه من صلاة وصوم وعبادات غيرها من الحياة والممات كلّها لله تعالى وحده. وهذا يدلّ على أنّ الطرف المقابل للنبيّ الذي يمثّله المشركون لم تكن طقوسهم لله، إنّما كانت لأجل الأوثان والأصنام. والظاهر أنّ العلامة الفارقة بين المسلمين والمشركين تكمن في أنّ طقوس المشركين كانت تؤدّي قرينةً للأوثان والأصنام، بينما مناسك المسلمين وشعائهم كانت تؤدّي قرينة لوجه الله تعالى وحده.

نماذج من طقوس المشركين:

كان للمشركين طقوس وآداب ومراسم وعبادات وشعائر خاصة بهم، وغالباً ما كانت تؤدّي هذه الطقوس تقرباً لأوثانهم، نتعرض هنا لبعض من هذه الطقوس والمناسك:

أ - ذبح الحيوان باسم الوثن:

كانوا يذبحون الحيوانات بذكر اسم الوثن عليها، ويحتمل أن يكون من العلل والأسباب التي دعت إلى ذكر اسم الله تعالى عند ذبح الحيوان في التشريع الإسلامي مواجهة هذه الشّعيرة الخاطئة للوثنيين واستئصالها. فهم كانوا يذكرون اسم الوثن عند الذبح، ولكن أيّ وثن هو؟ هل هو الوثن الكبير، أم وثن القبيلة، أم وثن البلد؟ فذلك ما لم يتوضّح. ومن جملة الآيات الدالّة على طقوس المشركين في هذا المجال:

والآية تدلّ على ذلك بصراحة چئے ے كك كك كك (٤).
 في هذه الآية يهدّد الشيطان بني آدم بأن يحرفهم عن جادة الصواب
 بأساليب متنوعة، ومنها تبتيك آذان الأنعام.
 وقال في تفسير مجمع البيان: هنا يوجد احتمالان:
 أحدهما: قطع آذان الحيوانات، وهو ما نُقل عن الإمام الصادق عليه السلام.
 وثنائهما: تشقيتها آذان الحيوانات.

(مَا ذُبِحَ عَلَى النَّصَبِ) جاء فيه معان عديدة:

٢ - الحيوانات التي تُذبح تقرباً للأوثان.

(٤) النساء: ١١٩.

(٥) المائدة: ٣.

النصاب، ومعناه:

١ - الأوثان المصنوعة من الحجر.

٢ - الأحجار التي كانوا يضعونها في أطراف الكعبة^(٦).

وجه الاستدلال:

لو أخذنا بالمعنى الأول لعبارة (وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ) فالآية دليل على ذكر اسم الأوثان عند الذبح. أمّا لو أخذ بالمعنى الثاني فالآية دليل على الذبح لأجل التقرب للأوثان.

وأضاف في تفسير مجمع البيان أنّ المشركين كانوا يأخذون من دم الذبيحة يلطّخون به الوثن لأجل التبرك.

د - الحيوانات التي يُحرم الانتفاع بها:

كان المشركون يعتقدون بحرمة الانتفاع من بعض الحيوانات في ظلّ ظروف خاصة للبعض أو للكل، ويمكن أن نستدل لذلك بالآية **يُؤْتَىٰ نَئِيْ، نَبِئِ نَئِيْ نَدٰى ۚ نَجْ نَحْ نَم ۚ نِئِ نَبِ بَحْ بَخْ ۚ** بي^(٧).

توضيح: ذكر لمعنى «بحيرة» عدّة معان:

١ - الناقة التي تلد خمس مرّات، ولو ولدت ذكراً في الخامسة

يشقّون أذنيها ويمتنعون عن ذبحها والركوب عليها، ويطلقون سراحها

(٦) تفسير عليين: ١٠٧.

(٧) المائدة: ١٠٣.

في المراعي تأكل وتشرب.

٢ - الناقة التي تلد خمس مرات، ولو ولدت في الخامسة ذكراً يذبحونها ويأكل النساء والرجال من لحمها، ولو ولدت أنثى يشقون أذنيها ولا يركبونها، ويطلقون عليها «بحيرة» وتحرم النساء من لبنها وسائر منافعها الأخرى، وأما الرجال فلا يُحرمون من ذلك، وعند موتها يأكل الرجال والنساء من لحمها.

والبحيرة بمعنى التي شقت أذنها، وهي مأخوذة من البحر، أي بمعنى المشقوق.

و«السائبة» ذكر لها عدة معان:

١ - هي الحيوان الذي يُحرّرونه لأجل الأوثان ويطلقون سراحه.

و«السائبة» اسم فاعل، من سَابَ الماء: إذا جرى على وجه الأرض، وهو بمعنى التحرّر وإطلاق السراح.

و«وصيلة»: فهي من الوصل، وقد جاء في معناها عدة أقوال:

١ - نقل عن الإمام الصادق عليه السلام: كان في زمن الجاهلية إذا ولدت الناقة

توأماً سمّوها وصيلة، ويُحرّمون ذبحها بعد ذلك ولا يأكلون من لحمها^(٨).

٢ - إذا ولدت النعجة أنثى كانت لصاحبها، ولو ولدت ذكراً كانت قُرْبَاناً للأوثان، ولو ولدت توأماً من ذكر و أنثى كانوا يقولون: وصلت

(٨) تفسير كنز الدقائق: ٢٠٩/٣ .

الأوثان في القرآن

توضيح:

(جَعَلُوا لِلَّهِ): هناك محذوف حُذِفَ لوضوحه وهو «وجعلوا للأوثان منه نصيباً» وقد ذكرت أوجه هنا:

- ١ - كان المشركون يزرعون أرضاً يزعمون أنّ محصولاتها لله، ويزرعون أخرى يزعمون أنّها لأوثانهم.
- فلو كانت الأرض التي زعموا أنّها لأوثانهم لم تأتِ بمحصول جيد وجاءت الأرض التي زعموا أنّها لله بمحصول جيد أخذوا من محصول الأرض الجيدة وجعلوه للأوثان، وقالوا: إنّ الله غنيّ غير محتاج، وهكذا يفعلون مع الأنعام فكانوا يقسمونها بين الله والأوثان.
- ٢ - ولو اختلط شيء مما جعلوه حصّة للأوثان بشيء مما جعلوه حصّة الله يُخرجونه ويُرجعونه لحصّة الأوثان، ولو حدث العكس أخرجوه وأطلقوا سراحه وقالوا: إنّ الله غنيّ وغير محتاج.

و- قتل الأولاد خوفاً من الفقر:

يُستفاد من آيات القرآن الكريم أنّ واحدةً من العادات والتقاليد التي كانت لدى المشركين هي قتلُ أولادهم خشية الإملاق والفقر:

الأولى: جَوْوِي ي ب ر ر ن ا ج (١١).

(الإملاق): بمعنى الفقر والعوز، ومن نهي الباري عزّ وجلّ عن هذا

الآية الأولى:

وجه الاستدلال:

الآية الثانية:

(١٧) الزمر: ٣.

من الواضح أنَّ المقصود من كلمة «الناس» في بدايه الآية هم المشركون؛ وذلك لأنَّه قال في الآية (١٠٤) (تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ)، وفي الآية ١٠٥ (وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ).

وفي الآية (١٠٦) نهى بعبارة (وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ) عن العبادة، أي أنّ الدعاء عبادة وقد نهى عنها، وكما مرّ في بداية البحث أنّ الدعاء وطلب الحوائج من الوثن له نفس معنى العبادة.

[illegible]

(۱۸) یونس: ۱۰۴-۱۰۶.

(١٩) سورة الكافرون: ١-٦ .

الأوثان في القرآن

٢ - لا يوجد فيه أيّ خير بقرينة (لعنه الله) (٢٢).

(لعنه الله): أبعد الله تعالى عن الخير (٢٣).

(إن يدعون): جاء في مجمع البيان: (يدعون) المقصود منها: العبادة في كلا الحالتين، أي لا يعبدون إلا الأوثان، ولا يعبدون إلا الشيطان. وفي الحقيقة تعود عبادة الأوثان لعبادة الشيطان؛ لأنها تتم بأمره لعنة الله عليه.

لكن في تفسير الميزان قال (يدعون) معناها: العبادة، أي لا يعبدون إلا الأوثان. وأضاف صاحب تفسير الميزان بقوله: إنه عبّر عن (يعبدون) بـ (يدعون) لبيان أنّ دوافع الوثنيين لعبادة الأوثان هي: قضاء الحوائج وحلّ مشاكلهم. أمّا «يدعون» في جملة (إن يدعون إلا شيطاناً مريداً) فمعناها الطاعة، أي أنّ المشركين لا يطيعون إلا الشيطان المتمرد (٢٤).

والذي نعتقد به، صحة رأي صاحب تفسير مجمع البيان، وهو: أنّ كليهما خضوع وعبادة ومعنى العبادة هو الطاعة، ولا يوجد بينهما أي تمييز واختلاف. وسوف نثبت ذلك لاحقاً. ونتعرض بالنقد أيضاً لكلام صاحب تفسير الميزان في هذا المجال ليتوضّح المطلوب أكثر.

(٢٢) الميزان في تفسير القرآن: ٨٤/٥ ذيل الآية.

(٢٣) توضيح الكلمات من مجمع البيان: ١٩٣/٣، ذيل الآية ١١٧ - ١١٨ من سورة النساء.

(٢٤) الميزان في تفسير القرآن: ٨٥/٥ ذيل الآية.

الفصل الخامس

الثقافة الاجتماعية للوثنيين

بعد أن بحثنا في الدين الوثني وطقوسه، نرى من الضروري أن نبحث أيضاً في الثقافة الاجتماعية للوثنيين في بداية مبعث النبي الأكرم ﷺ. لقد توضّح لنا فيما سبق بعض ألوان الثقافة المنحطّة للوثنيين: من قتل أولادهم خشية الفقر، والإحساس بالعار عندما تلد لهم بنت، ودفن البنات وهنّ على قيد الحياة، وتقديم القرابين للأوثان، وتحريم الاستفادة من بعض الحيوانات، والتقليد الأعمى للآباء. وسوف يأتي توضيح قسم آخر من ألوان هذه الثقافة المنحطّة. المهم أننا نريد أن نوضّح مستوى الثقافة والمعرفة عند الوثنيين. لقد كان الوثنيون - كما نقله لنا التاريخ - يعيشون في ظلام الجهل، فلا قراءة ولا كتابة إلاّ عند البعض القليل منهم. يقول الطبري: (ولم يكن حينما بُعث ﷺ في مكة والمدينة من يحسن أن يكتب إلاّ القليل، ولكنّه ﷺ اهتمّ كثيراً بتعليم المسلمين الكتابة، فشاعت الكتابة وذاعت، وكثر الكتاب بين المسلمين) (٢٥).

(٢٥) مكاتيب الرسول: ج ١ ص ٣٩٤، عن تفسير الطبري: ج ٢ ص ٤٦٥، وعن البداية

أما القرطبي في تفسيره فقد نقل رأياً عن ابن عباس: أنَّ المقصود من (الأميين): العرب كلهم، سواء كان الذين يقرأون ويكتبون منهم، أو الذين لم يقرأوا ولم يكتبوا... ومعنى (الأميين): أنَّ العرب لم يكونوا أصحاب كتاب سماوي، ولم يُبعث فيهم رسول^(١) وفي قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ)، وهذا المعنى منقول عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «كانوا يكتبون ولكن لم يكن معهم كتاب من عند الله، ولا بُعث إليهم رسول، فنسبهم إلى الأميين»^(٢).

وبما أنَّ قول الإمام الصادق عليه السلام فصل الخطاب فنستطيع أن نقول: إنَّ الوثنيين كانوا يتمتعون بنعمة القراءة والكتابة^(٣).

(١) تفسير القرطبي: ج ١٨ ص ٩١.

(٢) بحار الأنوار: ج ٦ ص ٢٤٣، عن تفسير القمي، البرهان: ج ٥ ص ٣٢٢، تفسير نور الثقلين: ج ٥ ص ٣٢٢.

(٣) ولأجل توضيح المطلب أكثر، يراجع تفسير ابن كثير: ج ١ ص ١٢١، وبحار الأنوار: ج ١٦ ص ١٣٢، والميزان: ج ١٩ ص ٢٦٤.

الفصل السادس

الوثنية ديانة وهمية

ما هو الدليل الذي تعتمد عليه الديانة الوثنية؟

فهل كان للوثنيين دليل عقلي أو نقلي لعقيدتهم؟

فما ينقله لنا القرآن الكريم في هذا المجال هو عدم وجود أي دليل لديهم، وإنما يتبعون أهواءهم في ذلك، أهواء في العقيدة، وأهواء في الطقوس

والمناسك وبكلمة واحدة نستطيع أن نقول: إنَّ الديانة الوثنية استنتاجات من وحي الوهم والخيال، ولا يوجد من ورائها كتاب سماوي أو أي دليل عقلي تعتمد عليه.

ولأجل توضيح المطلب أكثر نأتي ببعض الآيات من القرآن الكريم:

الآية الأولى:

چئؤؤؤؤؤؤؤؤئى، ئى، ئبئى ئى ئى ئى ى ى ى ئچچ^(١).

توضيح:

(١) الأنعام: ٨١.

(۲) چچ پ ر ر ئانا ئە مە ئوئو ئۇ ئۇئۇ ئۇ ئۇئۇنى چ .

الآية الثالثة:

[illegible]

الآية الرابعة:

في الآية (١٣٧) من سورة الأنعام يذكر الله تعالى في البداية أحد

(٢) الأنعام: ١٠٠.

(٣) الأنعام: ١٣٦.

التقاليد التي كان يزاولها المشركون، وهي عبارة عن قتل الأولاد خشية الإملاق والفقر، وفي نهاية الآية يقول: (فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ) يُبين أنّ هذه العملية مجرد افتراء على الله تعالى وليس لهم عليها أي دليل.

الآية الخامسة:

في الآية (١٣٨) من سورة الأنعام بعد أن يُبين قسماً من عقائدهم وطقوسهم - وقد مرّ توضيحها - يقول سبحانه وتعالى (سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ...) أي سوف ينالون جزاءهم عقوبةً لما كانوا يفترونه على الله تعالى، وهذا يُبين أنّ هذه الأعمال والتصرفات هي مجرد افتراءات على الله تعالى.

الآية السادسة:

في الآية (١٣٩) من سورة الأنعام أيضاً يُبين هذه المفردة العقائدية للوثنيين، وهي: ما ولد من هذه الحيوانات حيّاً فهو خالص للذكور دون الإناث وما ولد ميتاً أكله الرجال والنساء. ثم يردف تبارك وتعالى هذه الممارسة الخرافية قائلاً: (سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ)، أي سينالون جزاء هذه الأكاذيب التي يفترونها، وهذا ما يدل على أنّ هذه الأعمال ليس عليها دليل، وإنّما هي مجرد أوهام وخيالات هؤلاء المشركين.

الآية السابعة:

في الآية (١٤٠) من سورة الأنعام أيضاً يقول تبارك وتعالى في مورد

قسم من هذه الآيات الشريفة تكذب الديانة الوهمية للوثنيين فتقول:
 أولاً: - (قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا) أي هل لكم
 دليل؟ أي أنكم لا تملكون دليلاً على هذه الخرافات والأوهام، وقد
 أقمت هذه الخرافات على الأكاذيب، حيث تفترون على الله أنه أمر
 بعبادة هذه الأوثان.

ثانياً: (إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ) أي إنكم تتكئون على الظن، لا على
 الدليل العلمي.

ثالثاً: (وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ) أي تكذبون.

رابعاً: (فلله الحجة البالغة) أي البينة الصحيحة من الله تعالى.
 خامساً: (قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ..) أي أحضروا وهاتوا شهداءكم إذا
 كنتم صادقين فيما تدعونه. ومعناه المفهوم منه: لا يوجد لديكم شهود
 ولو وجد من يشهد فهم كاذبون.

توضيح:

هل أن المشركين كانوا جبريون، أي يعتقدون بأن الإنسان مجبور
 في أفعاله؟ فالبعض قال بذلك استناداً إلى الآية (١٤٨) من سورة الأنعام،
 ولكن هذا ليس بصحيح؛ لأن الآية ليست بصدد إثبات ذلك، وإنما
 ظاهرها يدل على أن المشركين كانوا يدعون أنهم لديهم الدليل
 والبرهان من الله على هذه الممارسات الوثنية الخرافية، والله قد كذبهم
 في ذلك.

الآية العاشرة:

چھ ہے ہے کے کڈو و و و و و و و و ی پ ر
رچہ (۵)

توضیح:

(أثارة): فيها قولان:

أحدهما: بقية من علم يؤثر من كتب الأولين يعلمون أنهم شركاء لله^(٦).
ثانيهما: أي شيء منقول من علم يُثبت صحة ما تعبدون من هذه الأوثان^(٧).

الآية الحادية عشرة:

[illegible]

الآية الثانية عشرة:

چې پېر رانا نه نه نوو ئۇ ئۇ نۆۋى ئۇ مۇنى ئۇ چە^(۹).

(٥) الأحقاف: ٤.

(٦) مجمع البيان: ج ٩ ص ١٣٧، ذيل الآية.

(٧) الميزان في تفسير القرآن: ج ١٨ ص ١٧

(٨) الحج: ٧١.

(٩) المؤمنون: ١١٧.

[illegible]

چچ یی نٹ ٹ زڑ ژ کک گگ دد بے پے
گی گی (۱۱)

[illegible]

تبيّن لنا من خلال البحوث السابقة أنّ الوثنية لم تكن أكثر من مجرد

(١٢) الأعراف: ٧١.

سلسلة أوهام وخرافات، ولا تستند إلى أيّ دليل عقليّ أو نقليّ، وقد وصف القرآن الكريم في كثير من آياته الشريفة هذه الأوهام والخرافات تارة بـ «المزاعم» وأخرى بـ «الخيال» وثالثة بـ «اتباع الظن» وغير ذلك. فنتناول بعض هذه الآيات على سبيل المثال:

[illegible]

چچچچچچچ (١٤). عبّر في الآية الأولى والثانية عن عقائد الوثنيين بـ (تزعمون)، والزمع بمعنى أنّها مجرد دعوى خالية من الدليل العلمي، وهي ليست أكثر من مجرد وهم وخيال وظنّ لا غير.

چٹ ٹٹ ٹٹ ژ ژ ژ ژ ک ک گ گ گ گ گ گ گ (۱۵).

(١٣) الأنعام: ٢٢ - ٢٤.

(١٤) القصص: ٦٢.

(۱۵) یونس: ۳۶.

[illegible]

وقصة تمرغ الوثنيين في وحل الأوهام والخيالات كقصة ذلك الراعي الذي كان يملك ظرفاً من الخزف فيه زيت، وجلس في يوم من الأيام مع نفسه وسرح في عالم الوهم والخيال محاوراً لها قائلاً: سوف أبيع هذا الزيت وأشتري بثمانه بعض الخراف، ثم تلد هذه الخراف فأكون صاحب ثروة ومال، ثم أذهب لأخطب بنت الملك وأتزوّجها، فإن خالفتني في أوامري أضربها بهذا الصحن الخزفي هكذا، وإذا به قد رمى الصحن جانباً وكسّره وأريق منه الزيت، ونهض من ذلك العالم الوهمي الخيالي.

(۱۶) یونس: ۶۶.

(١٧) الإسراء: ٥٦، الأنبياء: ٥٢ - ٧٠، القصص: ٦٢، ٧٤ - ٧٥، سبأ: ٢٢، الصافات: ١٤٦ - ١٥٧، الكهف: ٥١، مريم: ٤٢، النجم: ٩ - ٣٠، الملك: ٢٠.

الأوثان في القرآن

جسمانية^(١٨)، وغير ذلك، فالإنسان الذي يغرق في عالم الوهم والخيال يحتاج الى مُنبّه يُخرجه من ذلك العالم حتى يدرك الوقائع على حقيقتها، ومن هنا عندما كان يواجه المشركون أمواج البحر العاتية فإنهم يعودون إلى رشدهم وينسلّون من غيهم ويخرجون من وحل تلك المزاعم والخرافات، ويصبحون موحدّين، حيث يرجعون الى فطرتهم الطاهرة.

توحيد الوثنيين في الظروف الصعبة:

لقد أشرنا فيما سبق الى أنّ الوثنيين يعيشون في سبات الأوهام والخرافات، وبمجرد مواجهتهم لظرف خاص غير طبيعي، يفيقون من هذه النومة العميقة، ويرجعون إلى عقولهم وفطرتهم، وعندها يعرفون أنه لا حول ولا قوة إلا بالله من الظروف الصعبة التي تواجه هؤلاء الغارقين في سبات الوهم والخيال، إنّما هي كنقرة على أدمغتهم المغلقة لأجل أن يفيقوا، ولكن للأسف بمجرد أن تزول تلك الظروف الصعبة وترجع الحياة الى طبيعتها يعودون الى حالتهم السابقة. هناك بعض الآيات تدلّ على هذا الأمر:

(١٨) سوف يأتي توضيح ذلك في الأسباب الداعية لعبادة الأوثان في شرح خطبة الأشباح من نهج البلاغة.

نلاحظ أنّ الآية تتناول المسألة بكل وضوح، فهي تقول: بمجرد أن يواجهوا تلك الظروف الصعبة تزول كل تلك الأواصر الوهمية والخيالية مع الأوثان، وحسب فطرتهم يرجعون الى الله ويطلبون منه النجاة.

[illegible]

چف فف قق جج دد جج دد جج دد جج دد جج دد
دد نڈ ڈ ژ ر ژ ک ل گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ

(۲۱)

(٢١) يونس: ٢٢- ٢٣.

(٢٣) النمل: ٥٩ - ٦٥.

الأوثان في القرآن

هل الله بهذه الصفات التي بينها لنفسه في القرآن أم الأوثان التي لا تملك حولاً ولا قوة؟

(حدائق): جمع حديقة، أي البستان المحوَّط.

(ذات بهجة): ذات مناظر جميلة وجذابة تثير في الإنسان الحيوية والنشاط.

(بل هم قوم يعدلون): أي يجعلون الأوثان كفوّاً لله ونظيرة له.

(أَمَّنْ جعل الأرض قراراً): أي مستقرة لا تميل ولا تميد بأهلها.

وبعبارة أخرى: هل كان يبقى هناك شيء في هذه الحياة لو كانت الأرض متزلزلة غير ثابتة؟ فهل يستطيع غير الله أن يجعلها ساكنة؟

(جعل بين البحرين حاجزاً): الفاصل الذي يميّز بين المياه المالحة والمياه العذبة في البحار، لأجل أن لا تمتزج بعضها ببعض، فهل يستطيع أن يفعل ذلك غير الله تعالى.

(أَمَّنْ يجيب المضطرّ): أي مَنْ يجيب المكروب المجهود فيكشف ضرّه وكربه؟ هل غير الله قادر على ذلك؟

أشرنا فيما مضى أنّ المشركين في المحن والبلايا والمصائب القاهرة والظروف غير الطبيعية كانوا يتجهون الى الله تعالى وحده وينسون أوثانهم.

(أَمَّنْ يهديكم): أي مَنْ يرشدكم إلى القصد في البرّ والبحر بما نصب لكم من الدلالات من الكواكب والنجوم إذا ظلمتم؟ هل غير الله قادر على ذلك؟

الله الذي جعل الطيّار والقبطان يستفيد من البوصلة في رحلاته لأجل

أن لا يضلّ ولا يتيه في سيره نحو غايته، فهل غير الله وفّر كل هذه
الإمكانات الحياتية للبشر على الأرض؟

الآية الثانية:

چد یدتد تڈڈ ژ ژ ژ ژ ژ ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ

گ گ (١).

توضيح:

(من أنفسكم): هل أنكم تُشركون عبيدكم وإيماءكم فيما رزقناكم
من أموال وأملاك ونعم وأنتم وإياهم سواء في ذلك؟ أبداً.
روي عن سعيد بن جبیر كما جاء في تفسير مجمع البيان^(٢) في ذيل تفسير
تفسير هذه الآية: كانت تلبية قريش: لبيك اللهم لبيك، لا شريك لك إلا
شريكاً هو لك تملكه وما ملك، فأنزل الله تعالى الآية ردّاً عليهم وإنكاراً
لقولهم.

فكما لا يمكن أن يكون عبيدكم وإمّاؤكم شركاء لكم فيما تملكون
كذلك لا يمكن أن يكون عبيد الله تعالى شركاء فيما يملك.
والسبب الداعي لنزول هذه الآية يوضح لنا مدى انحطاط تفكير

(١) الروم: ٢٨.

(٢) مجمع البيان: ٥٨/٨.

الآية الثالثة:

الآية الرابعة:

(١) الروم: ٤٠.

(٢) الحج: ٧٣.

توضیح:

(ضَرْبُ مَثَلٍ): ورد فيها معنيان:

أحدهما: أن الله قال: ضُرب لي مثل، أي: شُبّه من الأوثان، ثم قال: فاستمعوا لهذا المثل الذي جعلوه مثلي.

والثاني: أثبت حديثاً يُتَعَجَّب منه، فاستمعوا له لتقفوا على جهل الكفار^(١).

وضّحت هذه الآية بشكل تمثيلي عملي ضعف ووهن الأوثان، فكأنما يُريد أن يقول: إنّ الكائن الذي يعجز أمام الذُّبابة كيف يمكنه أن يكون شريكاً لله القادر المطلق؟ لا يوجد أي تناسب في القدرة بين هذين الشريكين.

وبعبارة أدقّ: لا يمكن أن يُقاس أحدهما بالآخر. حقاً كانت الآية التالية: ﴿ج ج ج ج ج ج ج ج﴾^(٢). أظهر عبارة تدلّ على إيقاظ هؤلاء الوثنيين من غفلتهم.

والظاهر أنَّ هذه الآية فيها لون من العتاب، وهو: كيف أنَّهُم لم يعرفوا الله تعالى وهو بهذه العظمة، وجعلوا له شريكاً ونظيراً من أضعف مخلوقاته وله تعالى القدرة القاهرة؟! !

(١) مجمع البيان: ١٧٠/٧ ذيل الآية.

(٢) الحج: ٧٤.

الآية الثالثة:

چنۇ ئۇئۇ ئۇئۇ ئۇئۇنى، ئېتى ئىدى يەنج نىم ئى

(١) الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل: ذيل الآية الشريفة: ٢٠٦/٣.

(۲) تفسیر عبد اللہ شبر: ۳۸۳ ذیل الآیة.

لقد قارنت الآية بين عبادة الله وعبادة الأوثان، فأطلقت على الأولى بالحقّ وعلى الثانية بالباطل.

(كباسط كفيّه): بمعنى يضرب به المثل، وفيها احتمالان:

١ - الشخص الذي يبسط كفيّه للماء من بعيد.

٢ - قيل أنهم كمن أراد أن يغرف الماء بيديه ليشربه فيسطمهما ناشراً أصابعه فلم تلقَ كفاه منه شيئاً^(١).

هناك آيات عديدة أخرى بهذا الصدد، مثل الآية (١٩٧) من سورة الأعراف والآية (٥٢ - ٧٠) من سورة الأنبياء.

(١) تفسير جوامع الجامع: ٢٥٥/٢، عن تفسير البغوي: ١٢/٣.

الفصل السابع

أسباب عبادة الأوثان

تقدّم في البحوث السابقة أنّ الوثنيين لم يكن لديهم أي دليل عقلي أو نقلي تستند إليه عقائدهم وعباداتهم الوثنية، وعليه فمن الضروري أن نشخّص الأسباب التي دعت هؤلاء إلى اتّخاذ هذه الديانة والطقوس. ومن خلال البحث في آيات القرآن الكريم تعرّفنا على بعض العلل والأسباب التي أدّت الى ذلك، ومنها:

أولاً: الجهل بالله وعدم معرفته:

السبب الأول هو عدم معرفة الله تعالى وتصور مساواته مع المخلوقات، يُستفاد من بعض الآيات القرآنية أنّ هؤلاء المشركين كانوا يرون الله تعالى كما يرون سائر المخلوقات؛ حيث جعلوا له قرينة وأولاداً. فاليهود جعلوا غُزيراً ابن الله، والنصارى جعلوا المسيح ابن الله، والمشركون أيضاً جعلوا الملائكة بنات الله، لا بل جعلوا له صاحبة وزوجة كما جاء ذلك في الآية: **جَعَفَ قَفَقَجَجَ**^(١)، وفي سورة التوحيد (الإخلاص) أيضاً.

(١) الجن: ٣.

لقد بيّن الإمام علي عليه السلام في كتاب «نهج البلاغة» بكل وضوح جهل المشركين وعدم معرفتهم بالله، حيث قال عليه السلام:

«... كذب العادلون بك^(١)، إذ شبهوك بأصنامهم، ونحلوك حلية المخلوقين بأوهامهم^(٢)، وجزّأوك تجزئة المجسّمات بخواطرهم، وقدرّوك^(٣) على الخلقة المختلفة القوى بقرائح عقولهم، وأشهد أنّ من ساواك بشيء من خلقك فقد عدل بك، والعدل بك كافر بما تنزلت به محكمات آياتك، ونطقت عنه شواهد حُجج بيناتك، وأنك أنت الله الذي لم تتناه في العقول فتكون في مهبّ فكرها مكتفياً^(٤)، ولا في رويات خواطرها فتكون محدوداً مصرفاً^(٥)»^(٦).

ففي هذه الخطبة يُبيّن الإمام علي عليه السلام أنّ الوثنيين بسبب الجهل

(١) العادلون بك: الذين عدلوا بك غيرك، أي ساووه بك وشبهوك به.

(٢) نحلوك: أعطوك، وحلية المخلوقين: صفاتهم الخاصة بهم من الجسمانية وما يتبعها، أي وصفوك بصفات المخلوقين، وذلك إنّما يكون من الوهم، الذي لا يصل إلى غير الأجسام ولواحقها، دون العقل الذي يحكم فيما وراء ذلك.

(٣) أي: قاسوك.

(٤) أي لم تكن متناهاً محدود الأطراف، حتى تحيط بك العقول، فتكتفك بكيفية مخصوصة.

(٥) أي تصرفك العقول بأفهامها في حدودك.

(٦) نهج البلاغة: ١٦٤/١ خطبة الأشباح، تحقيق محمد عبده.

وعدم المعرفة بالله جعلوه - عزّ وجلّ - كسائر مخلوقاته، وبعقولهم الناقصة وأوهامهم جعلوا له أعضاء كأعضاء المخلوقات. وقال عليه السلام في القسم الأوّل من نفس هذه الخطبة المعروفة بخطبة الأشبّاح:

«فانظر أيّها السائل، فما ذلك القرآن عليه من صفته فأتمّ به^(١)، واستضيء بنور هدايته، وما كلّك الشيطان علمه ممّا ليس في الكتاب عليك فرضه، ولا في سنة النبي صلى الله عليه وآله وأئمة الهدى أثره، فكل علمه الى الله سبحانه، فإن ذلك منتهى حق الله عليك، واعلم أن الراسخين في العلم هم الذين أغناهم عن اقتحام السدّد المضروبة دون الغيوب، الإقرار بجملة ما جهلوه تفسيره من الغيب المحجوب^(٢)، فمدح الله تعالى اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً، وسمّى تركهم التعمّق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخاً، فاقصر على ذلك، ولا تُقدّر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين. هو القادر الذي إذا ارتمت الأوهام لتدرك منقطع قدرته^(٣)، وحول الفكر المُبرأ من خطرات

(١) إتمّ به: أي أتبعه، فصِفّه كما وصفه اقتداءً به.

(٢) السدّد جمع سدة: باب الدار، والإقرار فاعل أغناهم.

(٣) ارتمت الأوهام: ذهبت أمام الأفكار كالطليعة لها، ومنقطع الشيء: ما إليه ينتهي.

الوساوس أن يقع عليه في عميقات غيوب ملكوته^(١)، وتولّدت القلوب إليه^(٢) لتجري في كَيْفِيَّة صفاته^(٣)، وغمضت مداخل العقول في حيث لا تبلغه الصفات لتناول علم ذاته^(٤). ردعها وهي تجوب مهاوي سُدُف الغيوب، متخلّصة إليه سبحانه، فرجعت إذا جبهت^(٥)، معترفة بأنه لا ينال بجور الاعتساف كنه معرفته^(٦) (١).

(١) المبرأ:.... أمّا المَلابس لهذه الخطرات فمعلوم أنه لا يصل الى شيء لو قوفه عند وساوسه.

(٢) تولدت القلوب إليه: اشتدّ عشقها وميلها لمعرفة كنهه.

(٣) لتجري:.... لتجول ببصائرها في تحقيق كيف قامت صفاته بذاته؟ أو كيف اتّصف سبحانه بها؟

(٤) وغمضت:.... أي خفيت طرق الفكر ودقّت وبلغت في الخفاء والدقّة الى حدٍّ لا يبلغه الوصف.

(٥) ردعها:.... جواب للشرط في قوله: «إذا ارتمت...». وردعها: كَفَّها ورَدَّها، والمهاوي: المهالك، والسُدُف بضم ففتح: جمع سدفة، وهي القطعة من الليل المظلم، وجبهت من جبهة: إذا ضرب جبهته، والمراد: ردّت بالخيبة.

(٦) الجور: العدول عن الطريق، والاعتساف: سلوك على غير جادة، وسلوك العقول في أي طريق طلباً لاكتناه ذاته، وللوقوف على ما لم تكلف الوقوف عليه من كيفية صفاته يعدّ جوراً وعدولاً عن الجادة، فإنّ العقول الحادثة ليس في طبيعتها ما يؤولها للإحاطة بالحقائق الأزلية، اللهمّ إلا ما دلّت عليه الآثار، وذلك هو الوصف الذي جاء

يستفاد من آيات عديدة من القرآن الكريم أنَّ الأسباب الداعية لعبادة الأوثان هي اتباع الهوى النفسي.

جڏنڌ زُرُزْ كِڪَ گَگَ گَجْ جَچَ گَگَ گَگَ (۱).

وهذا يدلّ على أنّ هؤلاء في نزوعهم الى الأوثان كان هناك لون من ألوان اتباع الهوى البعيد عن التعقّل والتفكير.

چو وۇيى پېر ر ئا ئىنە ئونو ئونۇ ئونۇ ئونۇ ئىنى، ئې
ئىنى چ (۲).

جاء في عدة آيات من القرآن الكريم أنّ من الدواعي التي أدّت
بهؤلاء ليعبدوا الأوثان هو التقليد الأعمى لآبائهم وأسلافهم:

(١) الأنعام: ٥٦.

(٢) النجم: ٢٣.

الآية الأولى:

قال صاحب تفسير الميزان في ذيل هذه الآية:
(مودة بينكم): الاستئان بسنة الوثنية من آثار المودات الاجتماعية، يرى العامة من الناس ذلك بعضهم من بعض، فتبعته المودة القومية على تقليده والاستئان به، وعندما يسألون عن السبب الداعي لهم لهذه العبادة يُجيبون (قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ).
فعلة هذا العمل: أنّ آباءهم كانوا وثنيين، ومحبة هذا العمل وعشقه دعا الأبناء لأن يقتفوا سير آبائهم وأجدادهم.

(۲) چچ جج حح خخ دد ذذ رر زز سس صص ضض طط ظظ قق کک گگ غغ فف بب پپ تت ثث ن

(۲) لقمان: ۲۱.

الفصل الثامن

أقسام المشرّكين

نتعرّض في هذا البحث - من باب الاستطراد - إلى بعض أصناف المشرّكين كما جاء في القرآن الكريم، وسوف لا نستقصي ذلك بشكل كامل؛ لأنّ هدفنا هو توضيح معنى الشرك الذي تبين لكم من البحوث السابقة:

الصنف الأول: عبدة العجل:

چۈنكى بۇ ئىككى كۆرۈنۈشنىڭ ئارىسىدا پەرق بار، چۈنكى بۇ ئىككى كۆرۈنۈشنىڭ ئارىسىدا پەرق بار.

الآية وإن لم تُصرَّح بأنهم اتخذوا العجل إلهاً، إلا أنَّ المفسرين قالوا: إنَّهم اتخذوا العجل إلهاً لهم، كما جاء في تفسير مجمع البيان: (اتخذوا العجل: أى عبده و اتخذوه إلهاً) (٢).

وجاء في تفسير الميزان: (وهذه عبادة الصنم والعجل اتخذوه صنماً

(١) النساء: ١٥٣.

(٢) مجمع البيان: ٢٢٩/٣ .

الصف الثاني: عبدة عيسى وأمه:

لقد عبد بعض النصارى عيسى وأمه ; قال تعالى : ﴿يَعْبُدُونَ إِلَهًا مَعًا إِبْرَاهِيمَ ۖ كَانَ مِنْ قَبْلِهِ كَافِرًا﴾ (٤) .

نستفيد من هذه الآية: أنَّ بعض النصارى عبدوا عيسى وأمه، كما أطلقت الآية لفظ «إلهين» عليهما.

لقد جاء في تفسير الميزان: (إنَّهم بالإضافة إلى الله اتخذوا عيسى وأمه إلهين أيضاً، لا أنَّهم اتخذوهما إلهين وتركوا الله تعالى).

وبعبارة أخرى: أنَّ الظاهر من عبارة «من دون الله» أنَّ البعض يتصور أنَّهم اتخذوهما إلهين من دون الله، ولكن الواقع ليس كذلك، بل إنَّكم اتخذتم عيسى وأمه إلهين بالإضافة إلى الله، وهذا ما يُسمَّى بالأفانيم الثلاثة عندهم (٥).

وجاء في تفسير مجمع البيان (٦): (وقد اعتُرض على الله قوله تعالى:

(٣) الميزان في تفسير القرآن: ٢٣٣/٨ .

(٤) المائدة: ١١٦ .

(٥) الميزان في تفسير القرآن: ج ٦ ص ٢٤٣ .

(٦) مجمع البيان: ٤٥٩/٣ .

(إلهين) فقيل: لا يُعلم في النصارى من اتخذ مريم إلهاً؟ والجواب عنه من وجوه:

أحدها: أنهم لما عظموهما تعظيم الآلهة أطلق اسم الآلهة عليهما، كما أطلق اسم الربّ على الرهبان والأحبار في قوله: (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ) لما عظموهم تعظيم الربّ.

ثانيهما: أنّه يحتمل أن يكون فيهم من قال بذلك، ويعضد هذا القول ما حكاه الشيخ أبو جعفر الطوسي عن بعض النصارى: أنّه قد كان فيما مضى قوم يُقال لهم: المريمية يعتقدون في مريم أنّها إله.

وجاء في الميزان^(٧) - بعد نقل كلام الشيخ الطوسي حول المريميّة - نقلاً عن تفسير المنار^(٨): أنّ مريم كانت تُعبد في الكنائس كلّها، وهذه المسألة متفق عليها، ولكن بعد ظهور الإسلام امتنع البروتستانتون عن عبادتها، إلّا أنّ الكاثوليك استمرّوا على ذلك وكانوا يفتخرون بهذا العمل.

في البداية كان البروتستانت والكاثوليك يعبدونها، ووضعوا تمثالاً لها في معابدهم وكانوا ينحنون خضوعاً أمام تمثالها.

(٧) الميزان في تفسير القرآن: ٢٤٣/٦ .

(٨) المنار لمحمّد رشيد رضا: ٢٦٣/٧، تفسير الآية ١١٦ من سورة المائدة، دار المعرفة ط الثانية - بيروت.

وقد مضى توضيح ذلك في البحوث السابقة.

الفصل التاسع

أنواع الشرك

الشرك باعتباره المختلف له أقسام متعددة نتعرّض لبعض منها:

١ - الشرك في الإلوهية:

المقصود من الشرك في الإلوهية هو: أن يعتقد المشرك بوجود إله آخر نظير لله تعالى في تأثيره في عالم التكوين والوجود. وقد مرّ علينا في شرح معنى الشرك طويلاً وعرضياً، وأثبتنا بأدلة عديدة أنّ المشركين كانوا يعتقدون بأنّ الأوثان تضرّ وتنفع، وأنّها تشفي المرضى وتشفع لهم، وبهذا الاعتبار والرؤية يمكن أن نسمّي ذلك شركاً في العقيدة أيضاً. وباعتبار ممارسة هذا العمل بشكل علني وصريح يمكن أن نسمّي ذلك بالشرك الجلي الظاهري.

٢ - الشرك في الطاعة:

في هذا النوع من الشرك لا يعتقد المشرك بوجود مؤثّر آخر في عالم التكوين غير الله، لكنّه يُطيع غير الله ; لذا سيكون محور هذا النوع من الشرك هو اتّباع وإطاعة غير الله. وإطاعة غير الله لها ثلاثة أشكال:

الأوثان في القرآن

الأول: إطاعة غير الله بسبب الأمر الإلهي في ذلك، كما في الأمر الإلهي في إطاعة النبي ﷺ والأئمة عليه السلام، وهذه الطاعة لغير الله هي عين الطاعة لله تعالى: **چ فبئى مئى فدى ى ىچ** (١٠).

فهنا لا توجد لدينا طاعتان إحداهما لله تعالى والأخرى لغير الله، وإنما الطاعة لغير الله هنا هي نفس الطاعة الإلهية لا غير، وهي عين التوحيد.

الثاني: إطاعة غير الله في الأمور المباحة التي ليس لله تبارك وتعالى فيها حكم خاص، فمثلاً شرب الماء المباح الذي هو في موره إباحت شربه، ولا يوجد لله تعالى فيه حكم خاص، ولكن لو أمرنا شخصاً ما بأن نشرب الماء وأطعنا هذا الأمر في الشرب فهنا هذه الطاعة تعتبر طاعة لغير الله، لكنّ هذه الطاعة لا تتنافى مع التوحيد الإلهي؛ لأننا أطعنا غير الله في مورد قد أباحه الله تعالى لنا، وهذا وإن كان ليس كالشكل الأول الذي تكون الطاعة فيه عين الطاعة الإلهية إلاّ أنّه لا يتنافى معها.

الثالث: إطاعة غير الله في موارد لها تعارض وتناف مع الطاعة الإلهية، كما في أمر الصلاة فالله تعالى يأمر بها، وشخص آخر ينهى عنها، فهنا ترك الصلاة إطاعةً لأمر هذا الشخص تعتبر من الشكل الثالث من الطاعة لغير الله التي تتعارض وتتنافى مع الأمر الإلهي، وفي هذا المورد يتحقق الشرك في الطاعة - أي قدّمنا طاعة غير الله على طاعة الله

تعالى - والطاعة المختصة بالله تعالى صيرناها لغير الله.
والخلاصة: إطاعة غير الله في مقابل إطاعة الله هو تعبير عن الشرك
في الطاعة، وهذا حرام وممنوع شرعاً وعقلاً، وإطاعة الشيطان إحدى
مصاديق هذا الشكل.

الديمقراطية وإطاعة الله:

الطاعة والالتزام لأيّ قانون مخالف للقوانين الإلهية ولو كان في
قالب الديمقراطية وإطارها تعتبر شركاً في إطاعة الله تعالى.
والديمقراطية الذي لا شائبة فيها ولا اعتراض عليها هي تلك
الديمقراطية المنسجمة مع الأوامر الشرعية، أو التي تكون في الموارد
المباحة شرعاً.

أمّا في موارد المحرمات والواجبات فلا توجد لدينا ديمقراطية، فلو
أبدى جميع الناس رأيهم في ترك الصلاة التي هي واجبة شرعاً فلا قيمة
لهذا الرأي، وهكذا لو أبدى جميع الناس رأيهم في جواز شرب الخمر
الذي هو محرم شرعاً فلا قيمة لهذا الرأي أيضاً.

قال الله تعالى: أطيعوا النبي ﷺ والإمام المعصوم عليه السلام، وفي غيبة
المعصوم عليكم بإطاعة الولي الفقيه، وإطاعته تمثل عين التوحيد في
الطاعة، والسير على نهج الديمقراطية التي لا تنسجم مع الشرع
وتتعارض معه يمثل عين الشرك في الطاعة.

ولأجل ذلك جاء في دستور الجمهورية الإسلامية ما يلي: عندما ينتخب
الشعب رئيس الجمهورية لابد أن يوافق على ذلك الانتخاب ويُمضيه الوليّ

الأوثان في القرآن

الفقيه. لأنّ رأي الناس لا يُعطي شرعية لرئيس الجمهورية، ولا يجعل طاعته لازمة، أمّا عندما يوافق الولي الفقيه على ذلك الانتخاب ويمضيه تصبح طاعة رئيس الجمهورية داخلية في الطاعة الإلهية، وهي عين التوحيد الإلهي.

ومن المناسب هنا أن ننقل لكم بعض الأمور التي لها علاقة بموضوع البحث عن قائد الجمهورية الإسلامية سماحة آية الله السيد الخامني حفظه الله تعالى، وقد تطرّق إليها في مقالة تحت عنوان: (روح توحيد، نفى عبوديت غير خدا) جاء فيه:

(التوحيد ليس في الاعتقاد فحسب، إنّما في العمل أيضاً وفي الطاعة، فما قيل في جوانب التوحيد في غاية الاستيعاب والدقّة والعمق، ومن خلال هذه الإشارات القصيرة يمكن أن يُشخّص أنّ التوحيد ليس مجرد رؤية نظرية وفلسفية، وذهنية غير عملية بحيث لا تمتّ إلى الحياة بصلة، ولا علاقة له بحياة مجاميع البشر، وليس له تأثير في القرارات التي يتخذها الإنسان وعمله ونشاطه، ويكتفي فقط بأن يُلزم الناس بالعقيدة به، وأن يتركوا الاعتقاد بغيره.

ليس المسألة هكذا، وإنّما التوحيد نظرة للكون، نظرة للعالم والإنسان، وعلاقة الإنسان بسائر ما يدور حوله من الظواهر الوجودية، وموضع قدم هذا الإنسان من حركة التاريخ والقابليات التي يتمنّع بها والاستعدادات والحاجات التي هي ملازمة له منذ أن خُلِق، وهي

الإمام عليه السلام بالإضافة إلى الأوثان له مصاديق أخرى، وهي عبارة عن رؤساء الظلم الذين يتَّبِعُهُم الناس ويؤيِّدُونَهُمْ، فمعنى الآية حسب المعنى الثاني: بعض الناس الذي يتَّبِعُونَ رؤسائَهُمْ يُحِبُّونَهُمْ كحُبِّ اللَّهِ ويطيعُونَهُمْ.

وجاء في تفسير الميزان في معنى الأنداد: (أن المراد بالأنداد ليس هو الأصنام فقط، بل يشمل الملائكة وأفراداً من الإنسان الذين اتخذوهم أرباباً من دون الله تعالى، بل يعم كل مطاع من دون الله، من غير أن يأذن الله في إطاعته، كما يشهد له قوله في الآية (١٦٦) من سورة البقرة: (إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ).

وبما أنّ الآية (١٦٦) مرتبطة بالرؤساء والتابعين لهم لذا سوف تكون الآية (١٦٥) أيضاً مرتبطة بكل رئيس متّبع ومطاع، ولا تنحصر بالأوثان، والذي يؤيد ذلك أيضاً، الرواية التي جاءت عن الإمام الباقر عليه السلام، حيث قال فيها: «إنّ معنى الأنداد لا يقتصر على الأوثان، بل يشمل كلّ ظالم».

وعليه فإنه وفقاً لمدلول الآية، وكما جاء في تفسير الميزان أيضاً: كل مَنْ يُطاع كما يُطاع الله تعالى سوف يكون نداءً لله، وطاعته التي سوف تكون في عرض طاعة الله شركاً - حتى وإن لم يكن من قادة المجتمع، كما لو كان إنساناً عادياً - حتى وإن كانت تلك الطاعة المقدمة على طاعة الله لذلك الند في مورد واحد فقط فهي شرك ووثنية.

الآية الثانية:

[illegible]

وُجَّ (١٤).

توضيح:

جاء في تفسير مجمع البيان^(١٥): (وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ) أي الأوثان والشيطان، وقيل: كل من دعا إلى عبادة غير الله تعالى (أن يعبدوها) أي اجتنبوا عبادتها، (وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ) أي تابوا إليه فأقلعوا عما كانوا عليه، (لَهُمُ الْبَشَرَى) أي البشارة، وهي الإعلام بما يظهر به السرور في بشرة وجوههم جزاء ذلك.

ونلفت انتباه القارئ الكريم إلى أننا سوف نُثبت لاحقاً أنَّ معنى العبادة هو الطاعة.

(الطاغوت) مصدر مُصاغ من مادة طغى يُطلق على المفرد والجمع. وجاء في تفسير الكشاف: (الطاغوت) فَعَلُوت، من الطغيان، كالمملوك والرحموت، إلا أنَّ فيها قلباً بتقديم اللام على العين، وأطلقت على الشيطان أو الشياطين لكونها مصدراً، وفيها مبالغات، وهي التسمية بالمصدر كأنَّ عين الشيطان طغيان^(١٦).

وعلى هذا سوف يكون معنى الآية: البشارة سوف تكون لمن اجتنب طاعة الشياطين أو الشيطان، ومنه يفهم أن لا بشرى لمن يطيع الشياطين

(١٤) الزمر: ١٧ - ١٨.

(١٥) مجمع البيان: ٣٩١/٨، ذيل الآية أعلاه.

(١٦) الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل: ٣٩٣/٣ ذيل الآية.

والشيطان وعليه فالآية تدلّ على حرمة إطاعة غير الله تعالى.
ربّما يُقال: كيف يمكن أن يُستفاد من الآية أنّ الذين يعبدون
الطاغوت مشركون؟

الجواب: الآيات السابقة مرتبطة بالمشرّكين، وفي الآيات (١٧ - ١٨)
من سورة الزمر تبيّن صفات الموحّدين الذين اجتنبوا طاعة الشيطان.
ومنه يُعلم أنّ ضدّ ذلك - أي طاعة الشيطان - يدخل تحت الآيات السابقة
المرتبطة بالمشرّكين، ويكون من مصاديق المشرّكين.
وطبعاً نحن لا نريد أن نقول: يترتب على الشرك في الطاعة الأحكام
الفقهية التي تترتب على الكافر، مثل النجاسة وغيرها، وإنّما نقول: هناك
نوع من الشرك في الطاعة قد تحقّق.

٣ - الشرك الجليّ (الظاهر)، والشرك الخفيّ (الباطن):

وردت لفظة «الشرك» الخفيّ في الكتب الأخلاقية كثيراً، وأحياناً
يُطلق على الشرك الخفيّ بالشرك الأصغر أيضاً، وهذان اللفظان يطلقان
على المعنى المقابل للشرك الجليّ والشرك الأكبر.
ولم يأت ذكر للشرك الخفيّ أو الشرك الأصغر في القرآن. واستفاد
العلماء هذا المعنى من خلال تفسير بعض الآيات الواردة في الشرك
بالروايات، وسوف يكون لنا حديث بصدد هذا لاحقاً.

ولم نجد تعريفاً للشرك الخفيّ في الروايات، وكلّ ما موجود في
الروايات بهذا الصدد هو تشخيص لمصداق الشرك. ولأجل أن نجد
ملاكاً لتعريف الشرك الخفيّ لابدّ أن نلاحظ المصاديق التي حكّت

الروايات عنها.

ومن الضروري أن نبدأ بذكر بعض الروايات في هذا الموضوع:
 ١ - عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «لا تُراءَ بعملك من لا يحيي ويميت، ولا يغني عنك شيئاً، والرياء شجرة لا تُثمر إلاّ الشرك الخفي، وأصلها النفاق»^(١٧).

٢ - وعنه عليه السلام قال أيضاً: «... لا يكون العبد مشركاً حتى يُصلي لغير الله، أو يذبح لغير الله، أو يدعو غيره عزّ وجلّ...»^(١٨).

٣ - وعن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سئل عن قول النبي ﷺ: «إنّ الشرك أخفى من ديب النمل على صفحات سوداء في ليلة ظلماء قال: كان المؤمنون يسبّون ما يعبد المشركون من دون الله، فكان المشركون يسبّون ما يعبد المؤمنون.. فنهى الله المؤمنين أن يسبّوا آلهتهم؛ لكي لا يسبّ الكفار إله المؤمنين فيكون المؤمنون قد أشركوا بالله من حيث لا يعلمون»^(١٩).

توضيح:

شرك المسلمين يمكن تصوّره في حالتين:
 الأولى: مخالفة النواهي الإلهية، فيصيروا مشركين بذلك، أي

(١٧) مصباح الشريعة: ٣٢، باب الرياء، عنه بحار الأنوار: ٦٩ ص ٣٠٠ ح ٣٧.

(١٨) ميزان الحكمة: حرف الشين، باب الشرك، الشرك الخفي، الحديث ١٩٩٤.

(١٩) بحار الأنوار: ج ٦٩ ص ٩٣، نقلاً من تفسير القمي.

الأوثان في القرآن

بالشرك الخفي.

الثانية: سبهم وطعنهم لآلهة المشركين يدعو هؤلاء المشركين لأن يسبوا الله تعالى، وهذا بنفسه كان يؤدي لأن يعلن الوثنيون عن عقائدهم الوثنية، والسبب لهذا الإعلان والترويج للعقائد الوثنية هم المسلمون، وإن كان المسلمون لا يعتمدون ذلك ولا يعملون به.

٤- قال النبي ﷺ: «اتَّقُوا الشَّرْكَ الْأَصْغَرَ» قالوا: وما الشرك الأصغر؟ قال: «الرياء»^(٢٠).

الآيات التي يمكن تطبيقها على الشرك الخفي:

الآية الأولى:

چٹ ف ٹ ف ٹ ف ق ق چ (٢١).

وفي ذيل تفسير هذه الآية: روي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «أنه قول الرجل، لولا فلان لهلكت، ولولا فلان لضاع عيالي، جعل الله شريكاً في ملكه يرزقه ويدفع عنه»، فقليل له: لو قال: لولا أن من عليّ بفلان لهلكت؟

فقال: «لا بأس بهذا»^(٢٢).

(٢٠) الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل: ٥٠٢/٢ ذيل الآية ١١٠ من سورة الكهف.

(٢١) يوسف: ١٠٦.

(٢٢) تفسير مجمع البيان: ج ٥ ص ٤٦٢، ذيل الآية أعلاه.

الآية الثانية:

چئی بج بح بخ بم بی بی تج تح تخ تم تی تی ثج ثم ثی ثی جج
جم حج حم خج خح خم سج^(٢٣).

قال الإمام الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية: «هذا الشرك شرك الرياء»^(٢٤).

وقال الراوي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله فرأيت في وجهه ما ساءني، فقلت: ما الذي أرى بك؟ فقال: «أخاف على أمتي الشرك»، قلت: أيشركون من بعدك؟ ! فقال: «أما إنهم لا يعبدون شمساً ولا قمراً ولا وثناً ولا حجراً، ولكنهم يراؤون بأعمالهم، والرياء هو الشرك» ثم تلا هذه الآية: چئی ثج ثم ثی ثی جج جم حج حم خج خح خم سج^(٢٥).

خواصّ الشرك الجلي (الظاهر) والخفي (الباطن):

من المناسب أن نبيّن خواصّ الشرك الجلي، ومن «باب تُعرف

(٢٣) الكهف: ١١٠.

(٢٤) تفسير القمي: ٤٧/٢، بحار الأنوار: ١٥١/٤.

(٢٥) جامع أحاديث الشيعة: ٣٦٦/١، عن تنبيه الخواطر.

الأوثان في القرآن

الأشياء بأضدادها» نستطيع أن نحصل على ملاك الشرك الخفي. وطبعاً لا يوجد تعريف للشرك الجلي في آيات القرآن الكريم ولا في الروايات بعنوان شرك جلي. لكن المراد من الشرك الجلي لله ما يبدو ويظهر لنا: أنه الشرك الذي واجهه الأنبياء وجعل المشركين والموحدين يقفون صفيين متقابلين في هذه المواجهة، يُدافع فيها كل عن معتقداته التي يؤمن بها.

فمن تبين معالم الشرك الجلي سوف تتوضح لنا معالم الشرك الخفي؛ وذلك لأن كل معلّم من معالم الشرك الجلي الظاهر يقع على الضدّ منه معلّم من معالم الشرك الخفي الباطن.

معالم الشرك الجلي:

ونذكر هنا بعضاً من تلك المعالم والمظاهر:

- ١ - يعتقد المشرك في الشرك الجلي وجود غير الله - أي الأوثان - مؤثراً في عالم التكوين بشكل مستقلّ، ويزعمون أن هذه الأوثان آلهة لها قدرة مستقلة تنفع وتضر، وقد مضى توضيح ذلك في البحوث السابقة^(٢٦).
- ٢ - ارتباط المشركين بالأوثان ارتباطاً وثيقاً في الشرك الجلي، واشتمزأهم من التوحيد الإلهي.

(٢٦) راجع بحث «الشرك هل يقع طويلاً أم عرضياً» راجع الفصل الثاني ص ٦١ - ١٤٧ من الكتاب.

٢ - المشرك بالشرك الخفي أبداً لا يتنفر من الدعوة للتوحيد الإلهي، ولا يشمأز من ذكر الله الواحد الأحد، بل يكون له ارتباط وثيق بذلك.

٣ - ليس للمشرك بالشرك الخفي مظاهر لعبودية الأوثان، ولا يظهر منه ذلك، وقد مرّت علينا الرواية في ذلك عن رسول الله ﷺ فقال: «أَمَّا إِنْهُمْ لَا يَعْبُدُونَ شَمْساً وَلَا قَمَراً، وَلَا وَثِناً وَلَا حِجْراً، وَلَكِنْهُمْ يَرَاوُنَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَالرِّيَاءُ هُوَ الشِّرْكُ».

ومن خلال الالتفات الى ما ذكرناه نستطيع أن نعرف الشرك الخفي ونضع له ملاكاً لمعرفته. والظاهر أن أدقّ تعريف في الموضوع هو ما جاء عن (القلعجي)، فقد قال:

الشرك الأصغر: مراعاة غير الله في التصرفات، كرياء ونحوه (٢٨).

وهذا الملاك (مراعاة غير الله) في التعريف جيد جداً.

لكن في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام بين ملاكاً آخر أدق من الملاك الذي جاء به القلعجي.

وقد جاء فيه: سأله عليه السلام عن قول الله عز وجل... (إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) قال: «القلب السليم الذي يلقي ربه وليس فيه أحد سواه» قال: «وكل قلب فيه شرك أو شك فهو ساقط وإنما أرادوا

الزهد في الدنيا لتفرغ قلوبهم للآخرة»^(٢٩).

هذا الحديث جعل الملاك في الشرك الخفي التقرب والتوجه لغير الله تعالى، فعليه نستطيع القول: إنّ ملاك الشرك الخفي هو عبارة عن وجود التوجه والتقرب لغير الله تعالى. والذي ذكر في الروايات كان تشخيصاً لمصاديق الشرك الخفي، وبالتأكيد فإنّ الأحكام المترتبة على الشرك الجلي مثل النجاسة والكفر لا تترتب على الشرك الخفي. وكذلك لزوم مجاهدتهم بإذن الإمام عليه السلام، كما يُجاهد الوثنيون والصنميون.

الرياء في الأعمال غير العبادية:

نستطيع أن نبين فرقاً آخر بين الشرك الخفي وباقي أنواع الشرك، وهو: أنّه لا توجد ملازمة بين الشرك الخفي والحرمة الشرعية، فيمكن أن يكون هناك شرك خفي ولكن ليس بحرام شرعاً، فعن الشهيد آية الله السيّد عبدالحسين دستغيب & قال: (لم يُصرّح في التشريع الإسلامي بحرمة الرياء في الأمور الدنيوية التي ليس لها جنبه عبادية، ولذا لا ترى الفقهاء يفتنون بحرمة ذلك، ولكن الاحتياط لا يُترك لأهل الإيمان بأن يتركوا جميع مراتب الرياء، حتى في الأمور الدنيوية)^(٣٠).

(٢٩) أصول الكافي: ج ٤ ح ٥، باب الإخلاص.

(٣٠) الذنوب الكبيرة: بحث الشرك بالله.

توضيح:

الأعمال التي أمر الله تعالى بها مثل الصلاة فإنّ الرياء يحرم فيها، أمّا الأعمال المباحة مثل الأكل والشرب فلا حرمة للرياء فيها، كما لو يُريد شخص ما أن يُظهر للناس أنّه يأكل قليلاً.

الفرق بين الشرك الخفي والشرك في الطاعة:

الشرك الخفي أعمّ من الشرك في الطاعة؛ لأنّ هناك موارد يصدق فيها الشرك الخفي، ولكن لا يوجد فيها طاعة لأحد، كما لو أراد المُرائي أن يُنجز عملاً ما بدون توجيه أمر من أحد فلا يوجد هنا طاعة لأحد في هذا المورد، فهو يُرائي في أثناء العمل. أمّا الشرك في الطاعة فهناك أمر من أحد أو نهْي من أحد في البَيّن ففي الشرك في الطاعة يوجد ملاك التوجّه للغير مقابل الطاعة لله، والاستسلام للغير مقابل الاستسلام لله.

الفصل العاشر

ما هو التوحيد؟

إلى هنا نكون قد فهمنا معنى الشرك وأقسامه وأصنافه، ومن المناسب أن نتحدث الآن قليلاً عن التوحيد، لأجل معرفة مفهوم لفظة «الموحد» التي هي في مقابل لفظة «المشرك» وعلى مَنْ تُطلق لفظة «الموحد»؟. لقد جاء في تعريف التوحيد في نهج البلاغة عن الإمام علي عليه السلام: أنه سئل عليه السلام عن التوحيد والعدل فقال: «التوحيد أن لا تتوهمه، والعدل أن لا تتهمه»^(٣١).

نستفيد من هذا الكلام أنّ الشرك الذي ضد التوحيد هو مجرد مجموعة من الأوهام والتخيّلات، وماهي إلّا من نسج الوهم والخيال. ففي هذه الرواية أشار الإمام عليه السلام إلى منشأ الشرك والوثنية. فالمشرك يسرح في مخيلته ليصنع شبيهاً لله. ويؤيد هذا الكلام: ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام حيث قال: «من شبه الله بخلقه فهو مشرك، إنّ الله تبارك وتعالى لا يشبه شيئاً، ولا يُشبهه شيء، وكلّ ما وقع في

(٣١) نهج البلاغة، فيض الإسلام: الحكمة ٤٦٢.

الوهم فهو بخلافه» (٣٢).

ويُقال: أنّ النملة تتصوّر أنّ الله مثلها له قرنان، ومعناه: أنّ النملة تتصوّر الله كما هو في ذهنها.

فليس من حقّ الإنسان أن يقوم بصناعة شبيه الله في ذهنه، فكل ما نستطيع أن نتصوّره ليس هو الله، إنّما هو غير الله.

فنحن ليس لنا إلّا أن نقول في حقّه تعالى: إنّهُ موجود منذ الأزل والأبد، له قدرة مطلقة، وسائر الصفات الأخر التي وصف بها ذاته المقدسة، وخير ما وصف به نفسه (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) ومن المناسب أن نُورد في المقام كلاماً للشيخ المفيد + نقله عن الشيخ الصدوق +:

(ليس كمثله شيء، قديم لم يزل، سميع بصير، عليم، حكيم، حيّ قيوم، عزيز قدوس، قادر غني، لا يوصف بجواهر ولا جسم، ولا صورة ولا عرض، ولا خط ولا سطح، ولا ثقل ولا خفّة، ولا سكّون ولا حركة، ولا مكان ولا زمان).

وإنّه تعالى متعال عن جميع صفات خلقه، خارج من الحدّين: حدّ الإبطال وحدّ التشبيه.

وإنّه تعالى شيء لا كالأشياء، أحد صمد، لم يلد قيورث، ولم يولد

فيشارك، ولم يكن له كُفْؤاً أحَدٌ، ولانْدٌ ولا ضِدٌّ، ولا شبه ولا صاحبة، ولا مثل ولا نظير ولا شريك. لا تُدرِكه الأبصار والأوهام وهو يدرِكها، لا تأخذه سِنة ولا نوم، وهو اللطيف الخبير. خالق كلِّ شيء، لا إله إلَّا هو له الخلق والأمر تبارك الله ربِّ العالمين.

وَمَنْ قال بالتشبيه فهو مشرك، ومن نسب إلى الإمامية غير ما وصف في التوحيد فهو كاذب. وكلُّ خبر يخالف ما ذكرت في التوحيد فهو موضوع مخترع، وكلُّ حديث لا يوافق كتاب الله فهو باطل، وإن وُجد في كتب علمائنا فهو مدَّلس (٣٣).

المقدار الذي نستفيدة من الروايات وكلمات الشيخ المفيد + وآخرين في باب التوحيد: أنَّه تعالى موجود لا شبيه له، له كلُّ الصفات الكمالية، ولا نستطيع أن نقول في مقام الله شيئاً آخر غير ذلك.

قال بعض الفلاسفة: نسبة وجود الممكنات إلى وجود الباري عز وجل من مقولة التشكيك، أي أنَّ الممكنات تنطبق عليها كلمة الوجود بأدنى مراتبها، بينما كلمة «الوجود» تنطبق على الباري عز وجل بتمام معنى الوجود. وبكلمة أخرى: أنَّ الممكنات لها حظٌّ من الوجود ضعيف جداً، بينما الباري عز وجل هو الوجود كلّه وبتمام المعنى، كما في ضوء الشمعة عندما يُقاس بضوء الشمس فهما في مرتبتين مختلفتين، وكذلك نور الوجود له مراتب متعددة.

(٣٣) الاعتقادات، للشيخ المفيد: ص ٢١ - ٢٢.

ومن وجهة نظرنا نترك البحث هنا في مسألة الذات الإلهية ولا نحكم بشيء لأجل أن نحتاط. فما جاء من الحث في البحث الإلهي يجب أن ينحصر في الآثار؛ لأجل أن نستطيع التفكير في آثار الله ونبتعد عن الدخول في محور الذات الإلهية.

هدف الخلقة: التوحيد الإلهي ونفي الشرك:

﴿ج ج ج ج ج ج ج ج﴾ (٣٤).

توضيح:

معنى التوحيد: التسليم أمام الله الواحد، والاعتراف بالله في جميع الأمور، سواء كان ذلك في العقائد أم في الطاعات، وترك أي نوع من الشرك والوثنية.

(ليعبدون): في الأصل ليعبدونني، وقد حُذفت منها ياء المتكلم، والكسر في نون الوقاية لها دلالة على ذلك. واللام في «ليعبدون» غائية، بمعنى أن الهدف من الخلق العبادة.

وفي بعض الروايات: (ليعبدون) أي «ليعرفوه» (٣٥)، ومعناها أيضاً: أن الهدف من الخلق: العلم والمعرفة الإلهية، وهي ترجع إلى المعنى الأول. فالحاصل: أن الهدف من خلق الإنس والجن هو التوحيد ومعرفة الله

(٣٤) الذاريات: ٥٦.

(٣٥) علل الشرايع: ج ١ ص ٩.

لقد بُعث الأنبياء لأجل أن ينقذوا البشرية من الشرك ويبروهم على التوحيد، وهناك آيات عديدة في القرآن الكريم لها دلالة على هذا المعنى ومنها الآية: جآ ب ب ب ب ب ب ب ب ب پ پ پ پ ث ن چ^(٣٨).

لقد جاهد الأنبياء على مدى التاريخ ضد الشرك والمشركين، وحتى الرسول الأكرم ﷺ كان مكلفاً بمقاتلة المشركين وجهادهم؛ لأجل إزالة الشرك والوثنية من المجتمع: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الشُّرَكَاءَ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران: ٣١). ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَيْهَاتَ هَٰذَا مَا لَكُمْ مِنْهُ لَقَدْ جِئْتُمُوهَا وَأَنْتُمْ مُشْرِكُونَ﴾ (الحج: ٢٢). ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَيْهَاتَ هَٰذَا مَا لَكُمْ مِنْهُ لَقَدْ جِئْتُمُوهَا وَأَنْتُمْ مُشْرِكُونَ﴾ (الحج: ٢٢).

توضیح:

(الفتنة): معناها في الأصل: الاختيار، وتستعمل في أحد الموارد الثلاثة التالية، وهي: ١ - البلاء ٢ - العذاب ٣ - الوقوف بوجه الدين

(٣٨) الأنبياء: ٢٥.

(٣٩) البقرة: ١٩٣.

الإلهي، وهي هنا بمعنى الشرك بالله تعالى^(١).
 (فلا عدوان) بمعنى: فلا عقوبة، أي لا قتل، فهنا تمّ التعبير عن القتل
 بالعقوبة؛ لأنّه الجزء المترتب على العقوبة من باب تسمية السبب
 بالمسبب^(٢).

فالمقصود من الآية: قاتلوا هؤلاء حتى يخضعوا للدين والوحدانية
 الإلهية، فإذا ما اعترفوا بالوحدانية فلا عدوان ولا قتال.
 وجاء في تفسير الميزان: (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة خاصّة
 بالمشرّكين غير شاملة لأهل الكتاب، فالمراد بكون الدين لله سبحانه
 وتعالى: هو أن لا تُعبد الأصنام، ويُقرّ بالتوحيد، وأهل الكتاب مقرّون به
 وإن كان ذلك كفرًا منهم بالله بحسب الحقيقة، لكنّ الإسلام قنع منهم
 بمجرد التوحيد، وإنّما أمر بقتالهم حتى يُعطوا الجزية لإعلاء كلمة الحقّ
 على كلمتهم، وإظهار الإسلام على الدين كلّ^(٣)).

وجاء في البحث الروائي من تفسير الدرّ المنثور: أنّ المراد من
 (الفتن) هو الشرك، والمقصود من (الدين لله) كلمة (لا إله إلا الله)؛
 حتى يقولوا: (لا إله إلا الله)، فإن انتهوا (فلا عدوان إلا على الظالمين)^(١).

(١) مجمع البيان: ٨١/٧، ذيل الآية أعلاه، وتفسير عليّين: ٣٠.

(٢) مجمع البيان: ج ٢ ص ٥١٣ ذيل الآية.

(٣) الميزان في تفسير القرآن: ٦٢/٢، ذيل الآية من سورة البقرة: ١٩٣.

وجاء في تفسير مجمع البيان نقلاً عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: أنَّ المراد من الفتنة هو الشرك.
 وأمّا تفسير (الدين) فقد جاء فيه: حتى تكون الطاعة لله، والانقياد لأمر الله، ويفهم من الآية مع ما جاء في التفاسير: أنَّ الشرك كان موضع رفض وإدانة ومواجهة بشكل مستمرٍّ ودائمٍ من قبل الله تعالى.

(١) الدر المنثور في التفسير المأثور: ٢٠٥/١، ذيل الآية من سورة البقرة: ١٩٣.

الفصل الحادي عشر

معنى العبادة في اللغة والشرع

لأريب في أنَّ لفظة «العبادة» باشتقاقاتها المختلفة مثل (عبد، يعبدون و تعبدون..) استعملت في آيات عديدة.. وعليه لابد أن يتوضَّح لنا هذا المعنى بشكل جيد.

البعض يتصور أنَّ العبادة مجرد فعل خاصّ وعمل محدّد، مثل الصلاة أو الزكاة أو السجود، والحال أنَّ المسألة ليست كذلك، فهي تحتاج الى مزيد من التحقيق لغرض البيان والتوضيح.

المعنى اللغوي للعبادة:

نذكر هنا ابتداءً الآراء التي وردت في الكتب اللغوية في بيان هذه اللفظة، وبعدها نُقيم أدلة وشواهد من القرآن الكريم، وفي طيّات البحث سيتوضَّح رأينا في المعنى الذي نختاره.

جاء في كتاب «التحقيق في كلمات القرآن»^(١) ينقل فيه آراء

(١) هذا الكتاب من تأليف العلامة حسن المصطفوي، ينقل فيه آراء اللغويين في البداية،

الأوثان في القرآن

اللغويين عن (مصباح اللغة) للفيومي: (عبادة الله: أعبده عبادة هي الانقياد والخضوع، الفاعل: عابد، والجمع عِبَاد وعَبَد^(١)). فالعبادة هنا بمعنى الخضوع والتسليم، واسم الفاعل منها: (عابد)، وجمْعُهُ: (عِبَاد) و (عَبَد)^(٢).

وعن «مقاييس اللغة»: (عبد.. يدلّ على لِين وذلّ المعبد، الذلول يُوصف به البعير أيضاً، ومن الباب: الطريق المعبد، وهو المسلك المذلّ).

وعن «الاشتقاق»: (واشتقاق العبد من الطريق المعبد، وهو المذلّ الموطوء، وقولهم: بعير معبد يكون في معنى مذلّ)^(٣).

لفظة «العبادة» في القرآن:

نستفيد ممّا جاء في كتب اللغة: أنّ معنى العبادة هو الانقياد والتسليم والإطاعة، والعبادات بأنواعها من قبيل السجود والصلاة وغيرها من مصاديق الانقياد، وهذا المعنى ينسجم مع المعنى الذي سوف نحصل عليه من آيات القرآن الكريم.

ثم يستخلص منه الرأي المختار، والكتاب مفيد جداً، نرشد الآخرين بمطالعته.

(١) كتبت على ماهي عليه في المصدر والصحيح «عبدة».

(٢) كتبت على ماهي عليه في المصدر والصحيح «عبدة».

(٣) التحقيق في كلمات القرآن: (مادة عبد).

وعرّف البعض العبادة بمعنى غاية الخضوع والتذلل التي هي السجدة، مثلما جاء عن تفسير الكشاف: (العبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل) ^(١). وأيضاً في مفردات الراغب: (العبودية: إظهار التذلل والعبادة أبلغ منها؛ لأنها غاية التذلل) ^(٢).

فهل أنّ تعريف «الكشاف» وتعريف «المفردات» يختلف عمّا جاء في تعريف اللغويين، أم لا؟

الجواب: في الحقيقة أنّ المعنيين لا يختلفان، بمعنى أنّهما لا يتباينان، وإنّما نستطيع أن نقول: إنّ اختلافهما من باب أنّ الكشاف والراغب يُعرّفان العبادة من خلال مصداقها الأكمل، لا أنّهما يُريان أنّ عبارة «غاية الخضوع والتذلل» داخلة في مجال التعريف ومفهومه.

فمقصودهما من العبادة هو الخضوع، كما جاء في تعريف الآخرين، وإنّما ذكر «غاية الخضوع» لأجل بيان المصداق الأكمل والأفضل. ونتعرّض الآن للآيات القرآنية التي تدلّ على أنّ عين العبادة هو مطلق الخضوع.

(١) الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل: ٦٣/١، ذيل آية إياك نعبد.

(٢) المفردات في غريب القرآن: ٣١٩ (مادة عبد).

الآية الأولى:

﴿يَا بَنِي آدَمَ أَلَمْ نَأْخُذْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا أَن تَسْجُدُوا لِلشَّيْطَانِ وَلَا تَطِيعُوهُ،

جاء في تفسير الكشاف في ذيل الآية: (عبادة الشيطان: طاعته في ما يوسوس به إليهم ويزينه لهم).

نستفيد من ذلك أنّ معنى العبادة هنا هي بمعنى مطلق الخضوع، لا بمعنى غاية الطاعة التي هي السجدة، والآية ظاهرة في هذا المعنى، أي: يا بني آدم، ألم نأخذ منكم موثقاً أن لا تستسلموا للشيطان ولا تطيعوه، وإنّما أطيعوا الله وأسلموا له.

ومن الواضح أنّ الآية لا تدلّ على أنّ الله تعالى أخذ من بني آدم موثقاً هو أن لا يستسلموا غاية الاستسلام أمام الشيطان، وأمّا أدنى درجات الاستسلام لا مانع منها، فليست المسألة كذلك.

الآية الثانية:

﴿وَجِئْنَا بِكَ بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾ (٢).

وجه الاستدلال:

من المسلم به أنّ دعوة الأنبياء ﷺ لم تقتصر على أن يدعو الناس

(١) يس: ٦٠ - ٦١.

(٢) فصلت: ١٤.

للشريعة والدين كالملة، لكنه يُقال اعتباراً بالطاعة والانقياد للشريعة، قال: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) وقال: (وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ): أي طاعة^(١).

محلّ الشاهد في هذه الآية: (إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي ...) معناها: يا أيها المشركون، إن كنتم في شكٍّ والتباس من تسليمي لله تعالى ولا تؤمنون - مع الأخذ بعين الاعتبار الدين بمعنى التسليم والانقياد هنا - فأنا أيضاً لا أؤمن ولا أسلم لأوثانكم. نُفسّر معنى (أعبد) بالتسليم بقرينة المقابلة مع الدين.

الآية الرابعة:

وجه الاستدلال:

(١) المفردات في غريب القرآن : ١٧٥، مادة «دين».

(٢) الزمر: ٣.

(٣) الميزان في تفسير القرآن: ج ٥ ص ٨٤ ذيل الآية ١١٧ من سورة النساء.

الآية الثانية:

چڭوؤوؤ وؤوؤوؤوؤ وؤي ي پپررانا نه نه نونونو
 نوؤنوؤنوؤنى، نى، نى نى نى نى ي نج نج نم نى نى بج
 بخ بم بي بي تج تج^(١).

وجه الاستدلال:

لا يوجد فرق بين مفاد (فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ ...) مع مفاد (وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ...)، ومنه يُعلم أنَّ كلا اللفظين لهما نفس المعنى.

الآية الثالثة:

چپٹ ن ڈنٹ ت ڈنٹ ت ڈنٹ ت ڈنٹ ف^(٢).

ففي البداية جاء بكلمة (ادعوني)، وفي مقام الاستدلال لاحقاً قال:
 مَنْ يَتَكَبَّرْ عَنْ عِبَادَتِي سَوْفَ يَدْخُلْ جَهَنَّمَ مِهَانًا ذَلِيلًا.
 فمن المناسبة الموجودة بين الدليل والمدعى يقتضي أن يكون
 المراد من (ادعوني) و(اعبدوني) نفس المعنى.
 أي اعبدوني، ومن يتكبر عن عبادتي سوف يدخل جهنم داخراً.
 ومن المحتمل أن يكون العكس هو المطلوب، وهو: أنَّ المراد من
 العبادة هو الدعاء بقرينة كلمة (ادعوني).

(١) يونس: ١٠٤ - ١٠٦.

(٢) غافر: ٦٠.

چؤۇۋىي پېرئائىمى ئۈچ^(۱).

الآية الخامسة:

[illegible]

(۱) غافر: ۶۶.

(۲) یونس: ۱۰۴.

(٣) المائدة: ٧٦.

(٤) الأنعام: ٧١.

معنى السجود:

لأجل أن نفهم معنى السجود فإنه من الأفضل أن نرجع الى آيات القرآن الكريم.

قال تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْجُدُوا لِلَّهِ رَبِّكُمُ الْكَرِيمِ** **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا** **وَلَا تُسَبِّحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ إِلَّا وَهُوَ يُقْضَىٰ إِلَيْهِ رُجُوعُ الْأُمُورِ** ^(١).

استعملت الآية لفظة «السجود» لجميع المخلوقات، ومن المتيقن أنها لا تُريد بذلك السجود على التراب (الأرض). ولا بدّ إذن أن نعرف ماهو المعنى المراد.

ففي تفسير الكشاف قال: (المراد من السجود في الآية هو انقياد الموجودات والمخلوقات أمام الله تعالى).

وهذا المعنى هو الصحيح؛ لأنّ السجود على الأرض هو أحد مصاديق مفهوم السجود.

مما لا شك فيه أنّ هذا البحث لغويّ وإلّا لو أُقيمت القرائن في موارد على أنّ المراد من السجود هو السجود على الأرض - كما استعمل ذلك في روايات عديدة - لكان هو المرجّح المأخوذ به.

الخاتمة

نستخلص ممّا قدمناه من المباحث أموراً:

أ - الآيات القرآنية دلّت بوضوح على أنّ عقيدة الوثنيين هي أنّ الأوثان لها تأثير في عرض الله ومستقلة عنه. وأنّ عقائد الموحّدين هي أنّ التأثير في العالم كلّهُ لله ومنه أما الأثر الصادر من غيره تعالى إنّما يتحقق بإذن الله تعالى، والمؤثرات كلّها في طول تأثير الله تعالى، وإحياء الموتى بيد عيسى عليه السلام وتبديل العصا بالحية بيد موسى عليه السلام إنّما هو بإذن الله. والمسلمون ومنهم الشيعة يعتقدون بالثاني، دون الأوّل، كما أقمنا عليه أدلّة كثيرة.

ومن اتّهم المسلمين بالأوّل كما فعله الوهابيون فهو ناشئ عن عدم فهم الوهابيين الصحيح لمعنى الشرك.

ب: ثبت أيضاً عدم اعتقاد المشركين بالمعاد.

ج: ثبت أيضاً أنّ عقائد المشركين لم تبتن على أساس منطقي صحيح وإنّما هي مجموعة أوهام وتخيلات منشأها الجهل والتقليد الأعمى عمّن سبقهم.

د: واتّضح المعنى الصحيح للتوحيد، وأقسام التوحيد.

هـ: أمور كثيرة كانت خافية على كثير من الناس إنّضحت من خلال المباحث.

والجدير بالذكر أنّ استنادنا في هذه المباحث إلى كتاب الله أكثر من استنادنا إلى الأحاديث؛ وذلك لأنّ كتاب الله مورد اتفاق جميع المسلمين بخلاف الروايات، وقد آثرنا كتاب الله ليكون أكثر فائدة. نسأل الله التوفيق والهداية للجميع... والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

السيد عباس بن الأفضل الكريمي الحسيني

مصادر الكتاب

- ١ - أصول الكافي، أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني الرازي المتوفى (٣٢٩هـ).
- ٢ - الاعتقادات، أبو عبدالله محمد بن محمد النعمان العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد المتوفى (٤١٣هـ).
- ٣ - بحار الأنوار، محمد باقر بن محمد تقي المجلسي المتوفى (١١١١هـ).
- ٤ - البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي المتوفى (٧٧٤هـ).
- ٥ - البرهان في تفسير القرآن، هاشم بن سليمان البحراني المتوفى (١١٠٧هـ).
- ٦ - تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد مرتضى الحسيني الزبيدي المتوفى (١٢٠٥هـ).
- ٧ - التحفة السنية، السيد عبدالله الجزائري المتوفى (١١٧٣هـ).
- ٨ - التحقيق في كلمات القرآن، السيد حسن المصطفوي (معاصر).
- ٩ - تذكرة العلامة «تذكرة الفقهاء»، الحسن بن يوسف بن علي بن مطهر الحلبي المتوفى (٧٢٦هـ).

- ١٠ - تفسير ابن كثير «تفسير القرآن العظيم»، ابن كثير القرشي الدمشقي المتوفى (٧٧٤ هـ).
- ١١ - التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي المتوفى (٤٦٠ هـ).
- ١٢ - تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي المتوفى (٨٥٤ هـ)، وجلال الدين السيوطي المتوفى (٩١١ هـ).
- ١٣ - تفسير شبر، السيد عبد الله شبر المتوفى (١٣٤٢ هـ).
- ١٤ - تفسير الطبري «جامع البيان في تفسير القرآن»، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى (٣١٠ هـ).
- ١٥ - تفسير عليّين (فارسي)، للمؤلف.
- ١٦ - تفسير القرطبي «الجامع لأحكام القرآن»، محمد بن أحمد القرطبي المتوفى (٦٧١ هـ).
- ١٧ - تفسير القمّي، أبو الحسن عليّ بن إبراهيم القمّي المتوفى (٣٢٩ هـ).
- ١٨ - التفسير الكبير «تفسير الرازي» محمد بن عمر فخر الدين الرازي المتوفى (٦٠٦ هـ).
- ١٩ - تفسير المبين، الشيخ محمد جواد مغنية المتوفى (١٤٠٠ هـ)، ط نشر توحيد طهران.
- ٢٠ - تفسير نور الثقلين، الشيخ عبد عليّ بن جمعة العروسي الحويزي المتوفى (١١١٢ هـ).
- ٢١ - التوحيد، أبو جعفر محمد بن عليّ بن الحسين الصدوق المتوفى

- (٣٨١ هـ).
 ٢٢ - جامع أحاديث الشيعة، السيد حسين الطباطبائي البروجردي المتوفى (١٣٨٠ هـ).
 ٢٣ - جامع المقاصد، الشيخ علي بن الحسين الكركي المتوفى (٩٤٠ هـ).
 ٢٤ - جواهر العقود، محمد بن أحمد المنهاج الأسيوطي المتوفى (القرن التاسع).
 ٢٥ - جواهر الكلام، الشيخ محمد حسن النجفي المتوفى (١٢٦٦ هـ).
 ٢٦ - خبر مهم (تفسير سورة النبأ) (فارسي)، المؤلف.
 ٢٧ - الدر المثنور في التفسير المأثور، جلال الدين السيوطي المتوفى (٩١١ هـ).
 ٢٨ - ديدگاه توحیدی، مقالات.
 ٢٩ - الذنوب الكبيرة، السيد عبدالحسين الدستغيب المتوفى (١٤٠١ هـ)، ترجمة صدر الدين القبانجي (معاصر).
 ٣٠ - شرح الأزهار، أحمد مرتضى المتوفى (٨٤٠ هـ).
 ٣١ - شرح أصول الكافي، المولى محمد صالح المازندراني المتوفى (١٠٨١ هـ).
 ٣٢ - شرح نهج البلاغة، أبو حامد هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد المدائني المعتزلي المتوفى (٦٥٦ هـ).
 ٣٣ - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري المتوفى (٣٩٣ هـ).

- ٣٤ - الصحيفة السجّادية، الإمام عليّ بن الحسين السجّاد (عليهما السلام)، المتوفى (٩٤ هـ).
- ٣٥ - علل الشرائع، أبو جعفر محمّد بن عليّ الصدوق المتوفى (٣٨١ هـ).
- ٣٦ - الفائق في غريب الحديث، محمود بن عمر بن محمّد بن أحمد الزمخشري المتوفى (٥٣٨ هـ).
- ٣٧ - فتح الباري (مقدمة)، أحمد بن عليّ بن حجر العسقلاني المتوفى (٨٥٢ هـ).
- ٣٨ - الكافي، أبو جعفر محمّد بن يعقوب الكليني المتوفى (٣٢٨ أو ٣٢٩ هـ).
- ٣٩ - كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى (١٧٥ هـ).
- ٤٠ - الكشف عن حقائق وغوامض التنزيل، محمود بن عمر بن محمّد الزمخشري المتوفى (٥٣٨ هـ).
- ٤١ - كشف القناع، منصور بن يونس البهوني الحنبلي المتوفى (١٠٥١ هـ).
- ٤٢ - كنز الدقائق (تفسير)، الميرزا محمّد المشهدي المتوفى (١١٢٥ هـ).
- ٤٣ - مجمع البيان، أبو عليّ الفضل بن الحسن الطبرسي، المتوفى (٥٤٨ هـ).
- ٤٤ - لسان العرب، محمّد بن مكرم بن منظور المصري المتوفى (٧١١ هـ).
- ٤٥ - مختار الصحاح، محمّد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي المتوفى (٧٢١ هـ).

- ٤٦ - مصباح الشريعة، الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام المتوفى (١٤٨ هـ).
- ٤٧ - معجم لغة الفقهاء، محمد قلعجي (معاصر).
- ٤٨ - معجم ألفاظ الفقه الجعفري، الدكتور أحمد فتح الله.
- ٤٩ - معيار الشرك في القرآن، عز الدين الزنجاني (معاصر).
- ٥٠ - المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم بن محمد المعروف بالراغب الإصفهاني المتوفى (٥٠٢ هـ).
- ٥١ - مكاتيب الرسول صلى الله عليه وآله، الشيخ علي أحمد الميانجي (معاصر).
- ٥٢ - المنار «تفسير»، محمد رضا رشيد المتوفى (١٣٥٤ هـ).
- ٥٣ - ميزان الحكمة، الشيخ محمد محمد الريشهري (معاصر).
- ٥٤ - الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين التبريزي الطباطبائي المتوفى (١٤٠٢ هـ).
- ٥٥ - النهاية في غريب الحديث، مبارك بن مبارك الجزري ابن الأثير المتوفى (٦٠٦ هـ).
- ٥٦ - نهج البلاغة (ترجمة فيض الإسلام)، الإمام علي بن أبي طالب المتوفى (٤٠ هـ)، جمعه الشريف الرضي المتوفى (٤٠٦ هـ).
- ٥٧ - نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، (تحقيق محمد عبده).

الفهرس

كلمة المجمع	٩
المقَدِّمة	١٣
الفصل الأول: عقيدة الوثنيين في الله تعالى	١٧
المحور الأول: عقيدتهم في الله:	١٧
الآية الأولى:	١٧
إيقاظ الفطرة:	٢١
الآية الثانية:	٢٢
الآية الثالثة:	٢٣
الآية الرابعة:	٢٧
الآية الخامسة:	٣١
الآية السادسة:	٣٢
الآية السابعة:	٣٦
الآية الثامنة:	٣٧
الاعتقاد بالذرية لله تعالى	٣٩
الآية الأولى:	٣٩
الآية الثانية:	٤١

٤٤.....	الآية الثالثة:
٤٥.....	الآية الرابعة:
٤٦.....	الآية الخامسة:
٤٧.....	الآية السادسة:
٤٨.....	الآية السابعة:
٤٩.....	الآية الثامنة:
٥٠.....	الآية التاسعة:
٥١.....	الآية العاشرة:
٥٣.....	الآية الحادية عشرة:
٥٦.....	الآية الثانية عشرة:
٥٧.....	الاعتقاد بأنّ الله صاحبة
٥٧.....	رفض التوحيد
٥٨.....	الآية الأولى:
٥٩.....	الآية الثانية:
٥٩.....	الآية الثالثة:
٦٠.....	الآية الرابعة:
٦٥.....	الفصل الثاني: عقيدة الوثنيين بالأوثان
٦٧.....	مساواة الأوثان بالله تعالى:
٦٧.....	الدليل الأول: اعتراف المشركين بالتساوي في الآخرة
٦٧.....	الآية الأولى:

- ٧٠..... الآية الثانية:
- ٧١..... الآية الثالثة:
- ٧٢..... كلام في معنى كلمة «ندّ»:
- ٧٦..... الدليل الثاني: إطلاق الآلهة على الأوثان:
- ٧٧..... الآية الأولى:
- ٧٧..... الآية الثانية:
- ٧٨..... الآية الثالثة:
- ٨٠..... الآية الرابعة:
- ٨٠..... الآية الخامسة:
- ٨١..... الآية السادسة:
- ٨٢..... الآية السابعة:
- ٨٣..... الدليل الثالث: المعية:
- ٨٤..... الدليل الرابع: التمانع:
- ٨٤..... الآية الأولى:
- ٨٥..... الآية الثانية:
- ٨٧..... الدليل الخامس: (من دون الله):
- ٨٨..... الدليل السادس: توهين الأوثان:
- ٨٩..... الآية الأولى:
- ٩٠..... الآية الثانية:
- ٩١..... الدليل السابع: «الشرك ظلم عظيم»:
- ٩٢..... الدليل الثامن: «ألفاظ الشريك والشرك»:

- اشتباه الوهابيين: ٩٤
- الدليل التاسع: عدم الملكية ٩٥
- بيان الاستدلال: ٩٦
- الفقرة الأولى: ٩٦
- الفقرة الثانية: ٩٦
- الفقرة الثالثة: ٩٦
- الفقرة الرابعة: ٩٧
- الدليل العاشر: الاستقلال في التأثير: ٩٧
- الدليل الحادي عشر: الدعوة الى التوحيد: ٩٨
- وجه الاستدلال: ٩٩
- الدليل الثاني عشر: دعوة النبي ﷺ الى التوحيد: ٩٩
- الدليل الثالث عشر: الإخلاص في الدين: ١٠١
- الدليل الرابع عشر: الرجوع الى الفطرة ١٠١
- الدليل الخامس عشر: الاشتمزاز من الوحدانية: ١٠٤
- وجه الاستدلال: ١٠٥
- الدليل السادس عشر: سورة التوحيد: ١٠٥
- الدليل السابع عشر: الاعتقاد بملكية الأوثان: ١٠٦
- الدليل الثامن عشر: إطلاق كلمة (الرب): ١٠٧
- أدلة الاعتقاد بالطولية (عدم الاستقلال) ونقدها ١٠٩
- الطريق الأول: رأي صاحب تفسير الميزان في عقيدة المشركين: ١٠٩

- المراد من شفاعة الأوثان:..... ١١٠
- الطريق الثاني إعتقاد المشركين بعدم استقلال الأوثان:..... ١١١
- دليلان لإثبات الاعتقاد بالطولية عند المشركين:..... ١١٢
- نقد رأي صاحب تفسير الميزان:..... ١١٣
- خلاصة كلام صاحب تفسير الميزان:..... ١١٨
- نقد الرأي الثاني (عدم استقلال الأوثان في نظر المشركين):..... ١١٩
- الإذن بالشفاعة وعدم الإذن بها:..... ١٢١
- خلاصة القول:..... ١٢٧
- رأي آية الله الزنجاني ١٢٨
- تحليل كلام آية الله الزنجاني ونقده بشكل عام:..... ١٣٢
- الردّ على كلام السيد الزنجاني بشكل مفصّل:..... ١٣٣
- الآية الأولى:..... ١٣٤
- الآية الثانية:..... ١٣٤
- الآية الثالثة:..... ١٣٤
- الآية الرابعة:..... ١٣٥
- معنى الشفاعة «بإذن الله»:..... ١٣٦
- اعتقاد المشركين باستقلال الأوثان في الشفاعة:..... ١٤١
- الآية الأولى:..... ١٤١
- القرينة الأولى:..... ١٤٢
- القرينة الثانية:..... ١٤٤
- القرينة الثالثة:..... ١٤٤

١٤٦.....	القرينة الرابعة:
١٤٦.....	الآية الثانية:
١٤٧.....	الآية الثالثة:
١٤٨.....	القرينة الأولى:
١٤٨.....	القرينة الثانية:
١٤٨.....	القرينة الثالثة:
١٤٩.....	نقد لقسم آخر من كلام آية الله الزنجاني:
١٥١.....	الدفاع عن كلام الزنجاني وجوابه:
١٥٣.....	الفصل الثالث: عقيدة الوثنيين في المعاد
١٥٣.....	نظريتان في عقيدة الوثنيين في المعاد
١٥٥.....	الفئة الأولى:
١٥٥.....	الفئة الثانية:
١٥٥.....	الفئة الثالثة:
١٥٦.....	الفئة الرابعة:
١٥٧.....	رد رأي صاحب تفسير مجمع البيان:
١٥٨.....	المشركون وإنكارهم المعاد:
١٥٨.....	الآية الأولى:
١٥٨.....	الآية الثانية:
١٥٩.....	وجه الاستدلال
١٥٩.....	الآية الثالثة:

- الآية الرابعة: ١٦٠
- الآية الخامسة: ١٦٠
- الآية السادسة: ١٦١
- توضيح: ١٦١
- الآية السابعة: ١٦٢
- الآية الثامنة: ١٦٢
- توضيح: ١٦٢
- الآية التاسعة: ١٦٣
- الآية العاشرة: ١٦٤
- الآية الحادية عشرة: ١٦٤
- الآية الثانية عشرة: ١٦٥
- الفصل الرابع: طقوس المشركين ١٦٧
- نماذج من طقوس المشركين: ١٦٨
- أ - ذبح الحيوان باسم الوثن: ١٦٨
- ب - قطع آذان الأنعام أو تشقيقها: ١٧٠
- ج - ذبح الحيوانات للتقرب للأوثان: ١٧٠
- هـ - تقسيم المحاصيل الزراعية والحيوانات بين الله والأوثان: ١٧٣
- و - قتل الأولاد خوفاً من الفقر: ١٧٤
- ح - دفن البنات وهنّ على قيد الحياة ١٧٥
- ط - عبادة الأوثان وطلب الحوائج منها: ١٧٦
- الآية الأولى: ١٧٧

الأوثان في القرآن

١٧٧.....	الآية الثانية:
١٧٨.....	الآية الثالثة:
١٧٩.....	الآية الرابعة:
١٨١.....	الفصل الخامس: الثقافة الاجتماعية للوثنيين
١٨٥.....	الفصل السادس: الوثنية ديانة وهمية
١٨٥.....	الآية الأولى:
١٨٦.....	الآية الثانية:
١٨٦.....	الآية الثالثة:
١٨٦.....	الآية الرابعة:
١٨٧.....	الآية الخامسة:
١٨٧.....	الآية السادسة:
١٨٧.....	الآية السابعة:
١٨٨.....	الآية الثامنة:
١٨٨.....	الآية التاسعة:
١٩٠.....	الآية العاشرة:
١٩٠.....	الآية الحادية عشرة:
١٩٠.....	الآية الثانية عشرة:
١٩١.....	الآية الثالثة عشرة:
١٩١.....	الآية الرابعة عشرة:
١٩١.....	الآية الخامسة عشرة:

- الوثنية، حقيقة أم خيال؟: ١٩١.....
- الآية الأولى: ١٩٢.....
- الآية الثانية: ١٩٢.....
- الآية الثالثة: ١٩٢.....
- الآية الرابعة: ١٩٣.....
- توحيد الوثنيين في الظروف الصعبة: ١٩٤.....
- الآية الأولى: ١٩٥.....
- الآية الثانية: ١٩٥.....
- الآية الثالثة: ١٩٥.....
- الآية الرابعة: ١٩٦.....
- إيقاظ فطرة المشركين: ١٩٧.....
- الآية الأولى: ١٩٧.....
- الآية الثانية: ١٩٩.....
- الآية الثالثة: ٢٠٠.....
- الآية الرابعة: ٢٠٠.....
- استعراض لضعف ووهن الأوثان: ٢٠١.....
- الآية الأولى: ٢٠١.....
- الآية الثانية: ٢٠٣.....
- الآية الثالثة: ٢٠٤.....
- الآية الرابعة: ٢٠٥.....
- الفصل السابع: أسباب عبادة الأوثان: ٢٠٧.....

الأوثان في القرآن

أولاً: الجهل بالله وعدم معرفته:.....	٢٠٧
ثانياً: اتباع الهوى:.....	٢١٢
الآية الأولى:.....	٢١٢
الآية الثانية:.....	٢١٢
ثالثاً: التقليد الأعمى للآباء:.....	٢١٢
الآية الأولى:.....	٢١٣
الآية الثانية:.....	٢١٣
الفصل الثامن: أقسام المشركين.....	٢١٥
الصف الأول: عبدة العجل:.....	٢١٥
الصف الثاني: عبدة عيسى وأمّه:.....	٢١٦
الصف الثالث: عبدة الجن:.....	٢١٨
الفصل التاسع: أنواع الشرك.....	٢١٩
١ - الشرك في الإلهية:.....	٢١٩
٢ - الشرك في الطاعة:.....	٢١٩
الديمقراطية وإطاعة الله:.....	٢٢١
حرمة الشرك في الطاعة:.....	٢٢٣
الآية الأولى:.....	٢٢٣
الآية الثانية:.....	٢٢٤
٣ - الشرك الجلي (الظاهر)، والشرك الخفي (الباطن):.....	٢٢٦
الآية الأولى:.....	٢٢٨

- الآية الثانية: ٢٢٩
- خواصّ الشرك الجلي (الظاهر) والخفي (الباطن): ٢٢٩
- معالم الشرك الجلي: ٢٣٠
- فقدان معالم الشرك الجلي في الشرك الخفي: ٢٣١
- الرياء في الأعمال غير العبادية: ٢٣٣
- الفرق بين الشرك الخفي والشرك في الطاعة: ٢٣٤
- الفصل العاشر: ما هو التوحيد؟ ٢٣٥
- هدف الخلقة: التوحيد الإلهي ونفي الشرك: ٢٣٨
- انسجام التوحيد الإلهي مع الفطرة البشرية: ٢٣٩
- الهدف من بعثة الأنبياء: هو التوحيد: ٢٤٠
- الفصل الحادي عشر: معنى العبادة في اللغة والشرع ٢٤٣
- المعنى اللغوي للعبادة: ٢٤٣
- لفظة «العبادة» في القرآن: ٢٤٤
- الآية الأولى: ٢٤٦
- الآية الثانية: ٢٤٦
- الآية الثالثة: ٢٤٧
- الآية الرابعة: ٢٤٨
- الآية الخامسة: ٢٤٩
- تطابق معنى الدعاء والعبادة: ٢٤٩
- الآية الأولى: ٢٥٠
- الآية الثانية: ٢٥١

٢٥١.....	الآية الثالثة:
٢٥٢.....	الآية الرابعة:
٢٥٢.....	الآية الخامسة:
٢٥٣.....	الآية السادسة:
٢٥٣.....	العبادة الخالصة:
٢٥٤.....	معنى السجود:
٢٥٥.....	الخاتمة
٢٥٧.....	مصادر الكتاب
٢٦٣.....	الفهرس

